

البايات شوره الثالث

# أكرم أباك وأمك



## تصدير

لم تكن الوصايا العشر ، وصايا خاصة بزمن موسى النبي ، ولا بالعهد القديم فقط ، إنما هي خاصة بكل جيل لأن السماء والأرض تزولان ، وحرف واحد من وصايا الله لا يزول ( مت ٥ : ١٨ ) .

إنما المسيحية أعطت الوصايا العشر مفهوماً خاصاً ، يتفق مع السمو الذي فهمه المؤمنون في العهد الجديد . وبقيت الوصايا ثابتة ، ولكن مفهومها يتسع ، حسبما يمنح الله بنعمته مجالاً للتأمل . وما أصدق قول داود النبي :

« لكل كمال رأيت منتهى ، أما وصاياك فواسعة جداً »

( مز ١١٨ : ٩٦ )

وقد أقيمت هذه المحاضرات سنة ١٩٦٧ ، ونشرناها أكثر من مرة ، وها نحن نُعيد طبعها كما أقيمت وقتذاك .

### شوده الثالث



« إكرم أباك وأمك . لكي تطول أيامك  
على الأرض التي يعطيك الرب إهلك » .  
( خروج ٢٠ : ١٢ ) .

« إكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إهلك ،  
لكي تطول أيامك ، ولكي يكون لك  
خير على الأرض التي يعطيك الرب إهلك » .  
( تثنية ٥ : ١٦ ) .

## الأبوة الطبيعية ، واحترام الأقارب الكبار

معنى الوصية الحرفي :

هذه الوصية الخامسة ، في معناها الحرفي ، البدائي ، الأول ، قبل أن يتسع نطاقها في مفهوم البشرية ، وقبل أن تصل إلى كثرال فهماها في المسيحية ، كان المقصود بها إكرام الوالدين اللذين أنجبا الإبن بالجسد .

إتساع معناها ومفهومها :

ثم إتسعت حتى شملت الأقارب الجسديين الذين هم في منزلة الأب والأم كالعم والخال والعمة والخالدة ... ثم إتسعت حتى شملت كبار السن ، الذين هم من جهة سنهم في منزلة الأب والأم ...

ثم إتسعت الوصية في فهمها حتى شملت الأبوة الروحية ، وأصبحت تنطبق على الذين يهتمون برعاية أرواحنا وعقولنا كالكهنة والمعلمين ، كما شملت أيضا أبوة المركز ومن لهم علينا واجب الرعاية ...

وستكلم في هذا الفصل الأول عن الأبوة الطبيعية ، على أن الكلام فيها سيضع قواعد عامة يمكن أن تندرج تحتها باقي الأبوات .

### **أهمية هذه الوصية**

تظهر أهمية هذه الوصية في أنها :

١ - أولى الوصايا الخاصة بالعلاقات البشرية :

هذه الوصية الخاصة بإكرام الوالدين ، تجدها في مقدمة وصايا اللوح الثاني ، قبل قول الرب : لا تقتل ، لا تزني ، لا تسرق ... إلخ . وهذا الترتيب يعطينا فكرة عن خطورة هذه الوصية التي جعلها الرب أولى العلاقات البشرية .

تصوروا أن الرب لكى يعطينا فكرة عميقة عن إكرام الوالدين ، يقول : « إكرم أباك وأمك ، قبل أن يقول : « لا تقتل » ، وقبل أن يقول : « لا تزني » ، وقبل أن يقول : لا تسرق ولا تكذب ولا تشته . كأن الذى يخطئ بعدم إكرام والديه هو أكثر خطية ممن يرتكب جريمة قتل أو جريمة زنى أو جريمة سرقة ، وأكثر من الذى يشهد بالزور أو يشتهى ما لقريبه ...

لقد وضع هذه الوصية فى المقدمة حتى لا نستهن بها . قد يقشعر البعض منا من جريمة القتل ، ويقول : « حاشا لى أن أقتل . إننى لست مجرمًا » . ولكن الله قال : « إكرم أباك وأمك » قبل أن يقول : « لا تقتل » . هكذا بين لنا مقدار الجرم الذى يرتكبه الإنسان إذا لم يكرم والديه .  
يزيد فى قيمة هذه الوصية أيضاً أنها :

## ٢ - أول وصية مقترنة بمكافأة :

قال بولس الرسول : « إكرم أباك وأمك ، التى هى أول وصية بوعد ... » ( أف ٦ : ٢ ) . وما هو ذلك الوعد الذى وعد به الله من يكرم والديه ؟ إنها بركة مزدوجة : « لكى تطول أيامك على الأرض ، ولكى يكون لك خير » ( أف ٦ : ٣ . تث ٥ : ١٦ ) .

وعكس هذا صحيح . فالذى لا يكرم والديه ، يحدث له عكس هذه البركة ، فتكون أيامه قليلة ، وردية ...

يعقوب أبو الآباء ، الذى إستغل عمى أبيه . وخذعه ، وأخذ بركته بمكر ، نراه يثبت لنا هذه القاعدة عندما قال لفرعون : « قليلة وردية كانت أيام سنى حياتى ، ولم تبلغ إلى أيام سنى حياة آبائى » ( تك ٤٧ : ٩ ) .

إن هذا ولا شك يرشدنا إلى نقطة أخرى تؤكد أهمية هذه الوصية ، وهى عقوبة الموت لمن يكسرها :

## ٣ - من لا يكرم والديه عقوبته القتل واللعنة :

إن كسر هذه الوصية ، كانت عقوبته الموت ، وفى ذلك تقول الشريعة : « من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلاً ... ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلاً » ( خر ٢١ : ١٥ ، ١٧ ) .

و يؤكد الرب هذه العقوبة الحازمة بقوله في موضع آخر « كل إنسان سب أباه أو أمه ، فإنه يقتل . قد سب أباه أو أمه ، دمه عليه » ( لا ٢٠ : ٩ ) .  
ولعله إلى هذه الوصايا أشار السيد المسيح عندما قال للكتبة والفريسيين : « لأن موسى قال : إكرم أباك وأمك ، ومن يشتم أباً أو أمّاً فليمت موتاً » ( مر ٧ : ١٠ ) .  
إن الأب والأم ليسا مثل الأشخاص العاديين . فإن شتم إنسان شخصاً عادياً ، لا تكون عقوبته الموت . وإنما من الجائز أن يُقدم للمجمع ، ومن الجائز أن ينتهى الأمر بالصلح . أما أن يشتم أباه أو أمه ، فإن عقوبته تكون القتل ، فيموت موتاً ...  
وبالإضافة إلى عقوبة الموت ، كان من يسب أباه أو أمه تتبعه اللعنة أيضاً . وفي ذلك يقول الكتاب : « من سب أباه أو أمه ينطفىء سراجُه في حديق الظلام » ( أم ٢٠ : ٢٠ ) .

ولم تكن عقوبة القتل قاصرة على من يضرب أبويه أو يشتمهما ، وإنما كانت أيضاً للإبن المعاند غير المطيع .

وفي ذلك يقول الرب في سفر التثنية : « إن كان لرجل ابن معاند ومارد ، ولا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ، ويؤدبانه فلا يسمع لهما : يمسه أبوه وأمه ، ويأتیان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه . ويقولان لشيخ مدينته : إبننا هذا معاند ومارد ، ولا يسمع لقولنا ، وهو مسرف وسكير . فيرجه رجال مدينته بحجارة حتى يموت ، فتنزع الشر من بينكم » ( تث ٢١ : ١٨ - ٢١ ) .

وكانت اللعنة عقوبة من يستخف بأبيه أو أمه ، أى يستهزئ بها أو لا يقابلها بما يليق من الاحترام والتوقير .

على جبل عيبال ، كان يقف اللاويون ، ويصرخون بصوت عال : « ملعون من يستخف بأبيه أو أمه » . فيقول جميع الشعب : « آمين » ( تث ٢٧ : ١٦ ) .  
ويقول الكتاب أيضاً : « العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة اطاعة أمها ، تقورها غربان الوادى ، وتأكلها فراخ النسر » ( أم ٣٠ : ١٧ ) .

إن لعنة كنعان بن حام تعطينا فكرة دقيقة عن عقوبة عدم إكرام الوالدين .  
فماذا كان سبب تلك اللعنة الخطيرة ؟

لم يحدث أن حام عصى أباه أو ضربه أو سبه أو تكلم عليه بالشر . إنما كل ما في الأمر أنه أبصر أباه نوحاً - وهو سكران وعريان - فلما يغطه ، بل نظر وأخبر أخوته ( تك ٩ : ٢٠ - ٢٦ ) . وبسبب هذا أصابت اللعنة نسله من الكنعانيين آلافاً من السنين ...

حتى أن السيد المسيح نفسه ، المسيح اللطيف الرقيق ، الذي كل كلامه يمتزج بالرفقة والشفقة والحنو ، نراه في حديثه مع المرأة الكنعانية قد أكد هذه اللعنة بقول للمرأة : « ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » ( مت ١٥ : ٢٦ ) . « للكلاب » ؟! كلمة شديدة ولا شك ، يزيد لها شدة أنها صادرة من فم المسيح الطيب الحنون ، وموجهة إلى امرأة مسكينة تطلب شفاء إبنتها ...

ولكن هذه الشدة تثبت أن الرب قد صدق على اللعنة التي لعن بها نوح نسل ابنه حام ، وبالتالي تعطينا فكرة عن أهمية إكرام الوالدين ، وكيف إنها ليست خطية هينة أن يستخف أحد بأبيه أو أمه .

ونلاحظ أنه في نفس الوقت الذي لعن فيه نسل حام من الكنعانيين ، بورك سام ويافت ، لأنها لما سمعا أن أباهما عريان « أخذ الرداء ، ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا إلى الوراء ، وسترا عورة أبيهما » دون أن يبصرا عريه ... إن وصية إكرام الوالدين ، يوضح أهميتها أيضاً :

#### ٤ - المقام الكبير الذي للأب :

الأب هو رئيس الأسرة كلها ، ليس للأولاد فقط وإنما لأهمهم أيضاً ، لأن « الرجل هو رأس المرأة » ( ١ كو ١١ : ٣ ) . وفي النظام القبلي قديماً ، كان الأب هو حاكم الأسرة ، وكان الأب الكبير أو الجد هو حاكم العشيرة ، وهو قاضيا أيضاً . فكان يجمع بين الرئاسة الطبيعية والرئاسة المدينة في نفس الوقت .

وكان الأب أيضاً هو كاهن الأسرة وشفيعها عند الله . ولما جاءت شريعة موسى ، خصصت الكهنوت في بني هرون . ولكن قبل شريعة موسى ، كان الأب هو كاهن الأسرة . نسمع أن أيوب الصديق مثلاً كان يقدم محرقات عن أولاده ، على عددهم كلهم ، لأنه قال : « ربما أخطأ أبنائي وجدفوا على الله في قلوبهم » ( أي ١ : ٥ ) . وهكذا كان شفيعهم ووسيطهم عند الله ... وبالمثل كان نوح وإبراهيم وإسحق

ويعقوب ، وكل أولئك الذين نسميهم : « الآباء البطارقة » أي رؤساء الآباء ...

وكانت بركة الأب شيئاً عظيماً ، يسعى إليه الإبن ، ويطلبه بدموع وبكافة الطرق . ومن يباركه الأب ، يباركه الله ...

وهكذا نسمع مثلاً أن إسحق بارك يعقوب . ومع أن يعقوب سعى إلى تلك البركة بخدعة ومكر ، إلا أن بركة أبيه له قد ثبتت ، وإعتمدها الله نفسه ، وبارك الله يعقوب الذي باركه أبوه إسحق ( تك ٢٨ : ١ ، ١٤ ) . وهكذا أيضاً عيسو الجبار ، يبكي بمرارة ودموع طالباً بركة أبيه ( تك ٢٧ : ٣٨ ) .

وكما كان الله يعتمد بركة الأب ، كان يعتمد لعنته أيضاً . وقد رأينا مثلاً هذا في لعنة نوح لكنعان ، ثلاث مرات يصب عليه لعنة العبودية . فقال : « ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لأخوته » ثم قال : « مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم . ليفتح الله ليافت فيسكن في مساكن سام ، وليكن كنعان عبداً لهم » ( تك ٩ : ٢٥ - ٢٧ ) . وهذه العبودية التي كررها نوح ثلاث مرات في لعنته لكنعان ، قد وافق عليها السيد الرب في حديثه مع المرأة الكنعانية كما سبق وقلنا ...  
و بنفس الوضع إعتد الرب كل البركات والأحكام التي قالها يعقوب أبو الآباء لأبنائه فتمت كما هي ( تك ٤٩ ) .

ومن الأدلة الكبيرة على أهمية مركز الوالدين ، أن :

## ٥ - الله شبه محبته بجنو الأب والأم :

عندما أراد الرب إلهنا أن يبين عمق صلته بنا ، وعمق محبته لنا ، شبه علاقته بنا بجنو الأب وحنو الأم .  
إن الله هو سيد الخليقة كلها . كلها صنعة يديه ، وكلها خاضعة لسلطانه ، وكثيراً ما ندعوه رباً ، وهو كذلك ...

ولكن إلهنا الحنون يفضل لقب الأب لدلالته على الحب والحنان .

وهكذا عندما علمنا مخلصنا الصالح الصلاة الربية ، لم يطلب إلينا إن نوجهها إلى سيدنا الخالق الحاكم ، إنما أمرنا أن نقول : « أبانا الذي في السموات » .

وما أكثر آيات العهد الجديد التي تدل على أبوة الله ، والتي تحمل معنى محبته

وإشفاقه ...

عندما تحدث ربنا يسوع المسيح عن إحتياجاتنا ، قال : « لا تهتموا ... لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها » ( مت ٦ : ٣١ ، ٣٢ ) « فكم بالحري أبوكم الذى فى السموات يهب خيراتة للذين يسألونه » ( مت ٧ : ١١ ) . وفى حديثه عن الملكوت قال لنا : « لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت » ( لو ١٢ : ٣٢ ) . وفى حديثه عن عمل الخير فى الخفاء ، كرر أكثر من مرة عبارة : « أبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » ( مت ٦ : ٦ ) ... ما أكثر الآيات التى تدل على أبوة الله لنا ، ليس من السهل أن نحصيها .

**هذه الأبوة ليست شيئاً جديداً من تعاليم العهد الجديد . إنما أمر واضح منذ البدء ، ومن الأصحاحات الأولى لسفر التكوين .**

إن قصة الطوفان تبدأ بهذه المقدمة : « إن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات » ( تك ٦ : ٢ ) . وهكذا نرى أن الله - فى أبوته العجيبة - لم يستنكف أن يدعو البشر أولاده ، حتى وهم فى عمق الخطية .

وأحس أنبياء العهد القديم أبوة الله ، فخاطبوه قائلين : « فإنك أنت أبونا ... أنت يارب أبونا ، ولينا ، منذ الأبد إسمك » ( أش ٦٣ : ١٦ ) « والآن أنت يارب أبونا ، نحن الطين وأنت جابلنا » ( أش ٦٤ : ٨ ) .

وهذا كله رفع الله شأن الأبوة ، إذ دعا نفسه أباً لنا . وكذلك شبه محبته بحنان الأم ، إذ قال معاتباً أورشليم قائلاً : « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ، ولم تريدوا » ( مت ٢٣ : ٣٧ ) . وهنا يشبه محبته بالدجاجة الأم فى حنوها على فراخها . بل يقول الرب أن حنانه أكثر من حنان الأم التى لا يمكن أن تنسى رضيعها ( أش ٤٩ : ١٥ ) .

إن كان الله فى حنانه هو أبونا ، فإن الكنيسة هى أمنا . وكلنا أبناء الكنيسة ، تمخض بنا الرسل ( غل ٤ : ١٩ ) . وولدتنا الكنيسة الأم فى جرن المعمودية ، وغذتنا لبن التعليم السليم وعشنا فى أحضانها هذا الزمن كله نتمتع برعايتها وحبها ...

لذلك نضع فوق كل محبة ، وفوق كل أبوة وأمومة :

**أبوة الله ، وأمومة الكنيسة**



## كيف نكرم الآباء؟

قد يقول كل واحد منا : أنا مقتنع بخطورة هذه الوصية ، وبوجوب إكرام الوالدين ، ولكن كيف أكرم والدي؟

إن إكرام الوالدين يستوجب المحبة ، والطاعة ، والاحترام ، والعرفان بالجميل ، والإعالة .

وهناك عنصر يضاف إلى هذا كله ، وسنبداً به ، وهو النجاح .

### النجاح

لا شك أن النجاح في الحياة هو لون من ألوان إكرام الوالدين . إن نجاحك يشرف أباك ويشرف أمك ويُفرح قلبها وصدق الكتاب عندما قال : « الإبن الحكيم يسر أباه ، والإبن الجاهل حزن أمه » ( أم ١٠ : ١ ) . وقال أيضاً : « أبو الصديق يتهجد إبتهاجاً ، ومن ولد حكيماً يُسر به » ( أم ٢٣ : ٢٤ ) .

إذا ذاكرت دروسك جيداً ، ونجحت وتفوقت ، إذا كنت أميناً في عملك ونلت ثقة ومحبة رؤسائك ، إذا كنت إنساناً ناجحاً في الحياة وسمعتك طيبة وإسمك حلواً في أفواه الناس ، فإنك بهذا النجاح تكرم أباك وأمك ، لأنها يتهجان ويفتخران بنجاحك .

أما إن كنت فاشلاً في حياتك ، فإن أباك لا يعرف أين يخفى وجهه ، وكذلك أمك تخجل من فشلك . وإن أتت سيرتك في حضورهما أمام الناس ، يضع كل منها وجهه في الأرض . صدق الكتاب عندما قال : « الإبن الجاهل غم لأبيه ، ومرارة للتي ولدته » ( أم ١٧ : ٢٥ ) ، « من ولد جاهلاً فلخزيه ، ولا يفرح أبو الأحمق » ( أم ١٧ : ٢١ ) ، بل أن الكتاب يقول أكثر من هذا : « الإبن الجاهل مصيبة على أبيه » ( أم ١٩ : ٢٣ ) .

ما أكثر الأمهات في التاريخ اللاتي فرحن بأولادهن الناجحين ...

حنة فرحت بإبنا صموئيل ، ويوسف الناجح كان سبب فرح لأبيه ، وأكثر من الكل مريم العذراء فرحت بإبنا يسوع الذي « كان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » ( لوقا : ٢ : ٥٢ ) ، لقد أكرمها إبنا بسبب حياته المثالية التي كانت محل إعجاب الجميع .

وعلى العكس من كل هذا ، كان الأبناء الضالون والفاشلون . عيسو يقول عنه الكتاب إنه كان سبب : « مرارة نفس لإسحق ورفقة » ( تك : ٢٦ : ٣٥ ) . وأوغسطينوس في ضلاله كان مصدر ينبوع دموع مرة لأمه القديسة مونيكا . إذن أيها الأحباء ، كونوا ناجحين في حياتكم ، لكي يفرح آباؤكم بكم وتكرموا آباءكم بنجاحكم .

نقطة أخرى في إكرام الوالدين ، وهي العرفان بالجميل :

## العرفان بالجميل

لابد أن تعرف جميل أبيك وأمك عليك ... لا أريد أن أنصح بقراءة كتاب طبي أو نفسي ، لكي تدرك حالة الأم وقت الحمل ، تلك التي حملتك في بطنها تسعة أشهر ، وتعبت من أجلك كثيراً ...

ويكفي أنها من أجلك لم تدخل الكنيسة طول مدة نفاسها ، وبعضاً من فترات حملها . يضاف إلى هذا التعب الذي تعبته من أجلك وأنت رضيع ، وأنت طفل صغير ، في طعامك ، في بكائك ، في نظافتك ، في حملك على حجرها وعلى صدرها وعلى كتفها . لا شك أن الطفل الرضيع يمكن أن يجعل أمه أحياناً لا تستطيع أن تذوق النوم ...

تأكد أن أمك لو كانت قد قصرت في العناية بك ، لأصابتك أضرار وأخطار لا تدخل تحت حصر ... إن جميل الأم لا يمكن أن ينساه إنسان ...

من الجائز أن يقول إنسان : « صحيح إن أمي تعبت في تربيقي زمان ، ولكن دلوقت مكفرة سيئاتي » ... حتى هذا أيضاً لا يجعلك تنسى جميلها . أمك تشيلك وأنت صغير ، وأنت تشيلها لما تكبر ، يعني تحملها ...

لا تنسى أيضاً جميل أبيك عليك ، ذلك الذى تعب وكافح من أجل تربية بيتك ، وقام بجميع مصروفاتك ، وأنفق عليك من عرقه ومن دمه . وكان من يمسك كأنه يمس حدقة عينه .

ولا يكن عرفانك بالجميل من جهته قاصراً على تعبه مادياً من أجلك ، وإنما عرفانك أيضاً بالجميل من جهة ما أغدقه عليك من حب وحنان ، وما حباك به من عاطفة .

ولكى ندرك أهمية هذه العواطف ، يكفى أن نتأمل كيف أن كثيراً من الذين حرموا من حنان الأبوة وحنان الأمومة ، وقعوا فى أزمان نفسية خطيرة ومشاكل صعبة ...

إن كانت أمك تتعبك الآن أحياناً ، لأسباب معينة ، فلا يصح أن تنسى لها الماضى الطويل الجميل . وتأكد أنك لو قابلت عطفها الماضى بقليل من عطفك حالياً ، فإنها سوف لا تنسى لك هذه العاطفة ، وستصل بها إلى أعماق قلبها ...

ما أقسى على النفس أن تتعب أم دهنراً طويلاً بوليدها الصغير، حتى إذا شب وكبر، تركها وكأنه لا يعرفها ... !!

نقطة ثالثة فى إكرام الوالدين ، وهى الإعالة :

## الإعالة

يجب أن يعنى الإنسان بوالديه ، يعولها ويهتم بها ، ولا سيما فى فترات الشيخوخة أو الضعف أو المرض أو العوز .

لقد وبخ السيد المسيح جماعة الكتبة والفريسيين الذين كانوا يقصرون فى إكرام الوالدين بحجة تقديم قربان للهيكل ! فقال لهم : « وأنتم لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم . فإن الله أوصى قائلاً إكرم أباك وأمك ، ومن يشتم أباً أو أمّاً موتاً يموت . وأما أنتم فتقولون : من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذى تنتفع به منى ، فلا يكرم أباه وأمّه !! فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم » ( مت ١٥ : ٣ - ٦ ) . وهكذا أظهر السيد الرب أن إكرامك أباك وأمك بمالك - حين يحتاجان إليه ، أهم من تقديم قرباناً للمذبح .

وهناك آية قوية جداً تتعلق بهذا الموضوع وردت فى رسالة بولس الرسول الأولى إلى تلميذه تيموثيوس إذ يقول : « إن كان أحد لا يعنى بخاصته - ولا سيما أهل بيته -

فقد أنكر الإيمان ، وهو شر من غير المؤمن « ( ١ قى ٥ : ٨ ) .

إذن فكما أهتم بك والدك في صغرك ، يجب أن تهتم بها عندما يكبران ، خاصة أن الأب كلما تمر به الأيام ، تزيد أعباؤه . كان عنده قديماً طفل أو طفلان . أما الآن ، فقد كثر أولاده ، وأصبح عنده أبناء في الجامعة ، وبنات يستعد لتجهيزهن للزواج ... وإذ كثرت النفقات ، ينبغي أن يتعاون كل أفراد الأسرة من أجل القيام بمصروفات البيت ، ولست أقصد بهذا التعاون أنه كلما يتوظف ابن جديد تزداد العناصر الترفيهية في البيت ، ويكثر شراء الكماليات وأمور ليس فقط لا لزوم لها ، بل قد تكون سبباً لخطية . إنما نقصد بالإعالة الاهتمام الحقيقي بحاجيات الوالدين وحاجيات الأسرة ، برأ بهم ، ورداً للجميل الكبير الذى لاقاه الابن في تربيته والعناية به حتى أصبح ذا مورد وإيراد .

إن السيد المسيح - حتى وهو على الصليب - لم ينس أمه ، فعهد بها إلى تلميذه يوحنا الحبيب ، وقال له : « هوذا أمك » . ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته ( يوحنا : ١٩ : ٢٧ ) . فمن الواجب إذن أن يعتنى الابن بوالديه ويعولهما .  
في سنى الجوع لم ينس يوسف الصديق أباه وهو فى أرض بعيدة ، بل أرسل إليه يقول : « هكذا يقول إبنك يوسف : إنزل إالى . لا تقف . فتسكن فى أرض جاسان ، وتكون قريباً منى أنت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرك وكل مالك . وأعولك هناك ، لأنه يكون أيضاً خمس سنين جوعاً ، لثلاثفتقر... » ( تك ٤٥ : ٩ : ١١ ) .

### قصة :

سمعت قصة وأنا فتى صغير ، تروى أن رجلاً كان له أب عجوز ، وكان يعتنى به . ولكن هذا الأب نظراً لشيخوخته كانت تقع منه أطباق الأكل أحياناً فتتكسر . فضاق به إبنه وصنع له أطباقاً من خشب حتى لا تنكسر ، وكان يضع له فيها طعامه . وكان لهذا الرجل إبن صغير ( حفيد للأب العجوز ) . وكان يذهب أحياناً إلى جده فيجده يأكل فى أطباق من خشب . فسأل أباه عن السبب . ولما عرفه قال لأبيه فى بساطة : « حافظ يا بابا على الطبق الخشب دا كويس ، علشان لما تكبر وتبقى زى جدى ، أبقى أحط لك الأكل فيه » !! لقد ظن هذا الإبن الطفل أن هذا هو النظام المتبع مع الكبار...

حقاً إنه حسباً يكرم الإنسان والديه ، سيكرمه أبناؤه فيما بعد .

## قصة أخرى :

قرأت قصة أخرى موداها أنه في إحدى المرات غزا جيش الأعداد بلداً من البلاد وقتل الجنود كل من فيها ، وكان هناك في تلك البلدة إثنان من الشبان على معرفة بقائد الجيش الذي غزا المدينة . وكانا قد فعلا معه جيلاً من قبل أراد أن يرده لهما . فقال لهما : « احملا أثمن ما عندكما وأهربا من البلد بسرعة ، وأنا أضمن سلامتكما » . فدخل الشبان إلى بيتها ليحملا أثمن ما عندهما . فحمل الشاب أباه ، وحمل الشاب الثاني أمه ، وتركا المدينة . كان هذان الوالدان هما أثمن ما عندهما في هذه الدنيا كلها .

## المحبة والاحترام :

أول محبة يمارسها الإنسان هي محبته لأمه ، ثم محبته لأبيه . وهي محبة طبيعية لا يبذل مجهوداً في إقتنائها ، ولا يحتاج إلى مجهود في المحافظة عليها . وهي أيضاً محبة متبادلة . وأي إنحراف عن هذه المحبة ، هو شذوذ غير طبيعي ...

هذه المحبة لها عنصر إيجابي وعنصر سلبي .

أما العنصر الإيجابي : فهو عاطفة الحب التي يظهرها الابن نحو أبيه وأمه ، وبذل كل ما يستطيع من جهد في اراحتهما وإرضائهما وكسب بركتهما ورضاهما . ويستمر هذا الحب وهذا الإرضاء طول الحياة . وحتى بعد إنتقالهما إلى العالم الآخر ، يقيم الصلوات والقداسات عنها ، وينفذ وصيتها على قدر ما يستطيع .

وأما العنصر السلبي : فهو أن الأبن لا يصح أن يُغضب أحداً من والديه أو يثيره ، أو يعامله ببغضة أو بقسوة ، أو يتجاهل رأيه . ولا يصح للإبن أن يرهق والديه بكثرة الطلبات وخاصة بما هو فوق طاقتها . ولا يصح أن يبدد مالهما ، أو أن يضيع سمعة الأسرة بسلوكه في الفساد . وأكثر عقوق يصل إليه الابن هو أن يتمنى الشر أو الموت لأحد من والديه ...

لقد أمر الكتاب بقتل من ضرب أو شتم أباً أو أمّاً . كما لعن من يستخف بأبيه أو أمه .

والإستخفاف فيه عدم إحترام للوالدين .

ومن أمثلته أن يعامل الابن والديه على نفس المستوى ... كأنه وهما في درجة واحدة . أى أن الكلمة ترد بكلمة ، والمناقشة تقابلها مناقشة ، والغضب يقابل بغضب ، والصوت العالى يرد عليه بصوت عالى . كأن لا فارق ... هذا الأمر يحدث بين إثنين متساويين ، وعلى مستوى غير روحى . قطعاً هذا لا يليق .

ينبغى على الابن أن يجعل نفسه في الدرجة الأقل ، لأن من حق أبيه أن ينتهره . وهو لا يرد على هذا الانتهاز ، بل يسمع ويسكت . إن رفع أبوه صوته ، أو رفعت أمه صوتها ، لا يرفع هو صوته في مستوى صوت أبيه أو أمه ، إن رفع صوته يكون غمطاً . ليس هذا هو أدب الحديث مع الأب أو الأم ، وليس من الاحترام أن تعامل أياً منها على نفس مستواك ...

ومن علامات إحترام الوالدين خدمتها في كل ما يحتاجان إليه . ولا أقصد بالخدمة مجرد أن تطيع عندما يطلب منك أبوك مثلاً أى طلب . طبعاً هذا واجب ، ولكننى أقصد أكثر من هذا ... أن الابن الحكيم ينظر من تلقاء نفسه ما هو إحتياج أبيه وما هو إحتياج أمه ، ويخدمهما دون أن يطلبها منه ، في كل ناحية .

مثال ذلك : وجدت والدك واقفاً ومتعباً ، لا تنتظر أن يطلب منك احضار كرسي ليجلس ، بل إذهب من تلقاء نفسك وأحضره ، وقل له : تفضل يا أبى وإسترح . كنت جالساً مثلاً إلى المائدة ، ووجدت صنفياً ينقص أباك ، أحضره له وضعه أمامه . وجدت كوب الماء الذى أمامه فارغاً ، املاه له . وجدت أمك مثلاً متعبة في العمل ، تقدم وساعدها . لا تنتظر إلى أن تطلب منك . لا تجلس مثلاً إلى المائدة منتظراً حتى تضع والدتك الطعام أمامك ، وإنما إذهب وأحضره معها . وفي نهاية الأكل أرفع معها بقايا الطعام وساعدها .

اخدم أباك وأمك واحترمها . ولا تظن أنك بهذا تنقص درجة . بالعكس ، إنك تزيد وترتفع في نظرهما وفي نظر الكل وأمام الله نفسه .

أمثلة من الكتاب :

أنظروا سليمان الحكيم مثلاً وهو ملك جالس على عرشه . جاءت إليه والدته . فإذا فعل سليمان ؟ يقول الكتاب : « فقام الملك للقائها ، وسجد لها وجلس على كرسيه ، ووضع كرسيّاً لأم الملك فجلست عن يمينه » ( ١ مل ٢ : ١٩ ) .

إن سليمان الملك عندما قام عن عرشه وسجد لأمه ، لم ينقص درجة بل زاد . أكثر إذن أن يُقبل الشخص يد أبيه أو أمه ؟ أو أن يُقبل يد الكاهن الذي هو الأب الروحي ؟

مثال آخر هو يوسف الصديق ، وكان هو نائب فرعون في حكم مصر كلها ، خاتم فرعون في يده ، وفي يده كل السلطة والنفوذ ، والناس يركعون أمامه ( تك ٤١ : ٤٠ - ٤٣ ) . بل قد صار « أباً لفرعون وسيداً لكل بيته » ( تك ٤٥ : ٨ ) . ومع كل هذه العظمة التي أحاطت بيوسف ، لم يستنكف من أبيه راعي الغنم ، بل استقدمه إلى مصر بمركبات أرسلها إليه . وشد يوسف مركبته وصعد لاستقبال أبيه . وقدمه لفرعون ، ولم يستنكف أن يقول عن أبيه وأخوته أنهم رعاة مواش ( تك ٤٦ : ٣١ ) .

إنه درس يقدمه يوسف الصديق لمن يتنكر لأبيه أو يستحي بسببه ، إن كان فقيراً ، أو جاهلاً ، أو في وظيفة بسيطة أو فيه عيب ما... يجب على الإبن إذن أن يحترم أباه ويوقره ، ولا يستخف به . ولا يستهين برأيه ، ولا يظن أنه « دقة قديمة » ، وأنه من جيل قد مضت أيامه ليفسح الطريق للجيل الجديد ( الصاعد ) ! ولا يصح أن يسخر من أحد والديه سواء بالكلام أو بالنظر أو بأية حركة ، ولو عن طريق المزاح . فهذا كله لا يليق قال الكتاب : « تهابون كل إنسان أمه وأباه » ( لا ١٩ : ٣ ) .

## الطاعة والخضوع

الطاعة عنصر جوهرى هام في إكرام الوالدين . قيل عن السيد المسيح أنه أطاع الأب حتى الموت موت الصليب ( في ٢ : ٨ ) . وفي تجسده على الأرض قيل إنه كان خاضعاً لمريم ويوسف ( لو ٢ : ٥١ ) خضع لمريم لأنها كانت أمه ، وخضع ليوسف مع أنه لم يكن أباه بالجسد ، وإنما كان بمنزلة الأب ، من جهة الرعاية ، لأنه زوج الأم وقد اعتبر أباً له من جهة العرف ، حتى أن مريم قالت لربنا يسوع عن يوسف « أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين » ( لو ٢ : ٤٨ ) .

إن خضوع الرب لمريم ويوسف هو درس عظيم نافع لنا ، لقد خضع لها هذا الذى تخضع له الملائكة ورؤساء الملائكة ! الذى تجثو له كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ( فى ٢ : ١٠ ) . إن الرب يرينا بنفسه إلى أى حد يجب أن تنفذ الوصية الخامسة .

ومن الأمثلة الرائعة في الكتاب المقدس لطاعة الوالدين ، مثال إسحق مع أبيه إبراهيم ، حيث أسلم نفسه لأبيه ليقدمه محرقة للرب . ومن أمثلة هذا الخضوع العجيب أيضاً ما فعلته ابنة يفتاح الجلعادي ، التي أسلمت نفسها لأبيها ليتم فيها نذره ( مع أنه نذر خاطيء ) . فقدمها أبوها محرقة للرب ( قض ١١ : ٣٠ - ٤٠ ) .

ومن أمثلة الطاعة التي رواها الكتاب في إعجاب ، وبكت بها الرب عدم طاعة بني إسرائيل له ، مثال طاعة بني ركاب لأبيهم الذي كان قد أوصاهم قائلاً : « لا تشربوا خمراً أنتم ولا بنوكم إلى الأبد . ولا تبنوا بيتاً ، ولا تزرعوا زرعاً ، ولا تفرسوا كرمًا ، ولا تكن لكم . بل إسكنوا في الخيام كل أيامكم » ( أر ٣٥ : ٦ - ١٠ ) . وقد سُر الرب كثيراً بطاعة بني ركاب لأبيهم ، وقال لهم : « من أجل أنكم سمعتم لوصية يوناداب أبيكم ، وحفظتم كل وصاياي ... لذلك ... لا ينقطع ليوناداب بن ركاب إنسان يقف أمامي كل الأيام » ( أر ٣٥ : ١٨ ، ١٩ ) .

نعم ، ما أجل الطاعة للوالدين . لذلك يوصينا الكتاب بها قائلاً : « إسمع يا بني تأديب أبيك ، ولا ترفض شريعة أمك » ( أم ١ : ٨ ؛ ٦ : ٢٠ ؛ ٢٣ : ٢٢ ) .  
نعم ، ما أجل الطاعة ، وما أجل الخضوع . إنها ثمرتان من ثمار الإلتضاع ، ومن ثمار الثأدب . وهما دليلان على الوداعة والمحبة ...

وفي الطاعة أيضاً نكران للذات ، وجحود للمشيئة الخاصة . ولا شك أن الطاعة تكبر وتعظم كلما أطاع الإنسان فيما هو ضد مشيئته ، وأخضع مشيئته لغيره .  
ومن الكلمات الجميلة في الطاعة ، قول السيد المسيح له المجد : « لأني نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني » ( يو ٦ : ٣٨ ) .

### عناصر الطاعة :

من المفروض إذن في الإبن أن يطيع والديه : طاعة قلبية عن حب ورغبة في الإرضاء ، وطاعة حقيقية ليست ظاهرية ، وطاعة عن رضى بغير تذمر ، وطاعة سريعة بغير تلكؤ ، طاعة في غيبتهم وفي حضورهم . وأخيراً طاعة في الرب .

### أ - طاعة حقيقية :

يجب على الإبن أن يطيع والديه ، ليس مجرد الطاعة لكلامهما فقط ، وإنما لمشاعرهما الداخلية ، طاعة تهدف لإرضاء قلبها . حتى إن قالوا كلاماً باللسان غير ما يحبونه .



## قصة :

ومثال ذلك قصة قرأتها عن طفل صغير، إنه كان يريد أن يذهب إلى حفلة معينة مع زملائه. فطلب من والدته أن تأذن له بالذهاب، فرفضت وقالت له: « لا تذهب ». فتضايق الطفل لأنه كان يريد أن يحضر الحفل. ولما رأت أمه أنه حزين وتضايق، سمحت له أن يذهب على مضض منها. ولكن هذا الطفل فكر في الأمر. وقال في نفسه: « إن والدتي غير مستريحة لذهابي، وهي من أجل إرضائي فقط سمحت لي، ولكنها غير مستريحة في قلبها من الداخل. ومعنى هذا إنني لو ذهبت فسأحزن قلبها، فالأفضل أني لا أذهب ». وأخيراً فإن هذا الطفل المطيع منع نفسه من تحقيق رغبته، محبة في والدته ورغبة في إرضاء قلبها. ولم يقتنع ضميره بتلك الموافقة الظاهرية التي حصل عليها...

إنه درس لنا. لأنه قد يوجد ابن يريد أن يطيع والديه شكلياً. فإن رفضاً له طلباً، يظل يضغط ويلح، ويضغط ويلح، وقد يتضايق وقد يحزن حتى يسمع كلمة: « وافقنا ». فيلتقطها بسرعة قبل ما يرجعوا في كلامهم. ويسمح لنفسه أن يفتخر بعد ذلك ويقول: « أنا عمري ما خالفت!! أنا أخذت الموافقة »!

صحيح إنها موافقة، ولكنها أتت عن طريق الضغط. إنها مجرد موافقة لسان، ولكن القلب غير موافق من الداخل والمفروض في طاعة الوالدين، أنها تكون طاعة حقيقية غير شكلية. يكسب فيها الابن رضى والديه وموافقتها القلبية.

## ب - طاعة سريعة ...

يجب أن تكون الطاعة أيضاً بسرعة، بغير تباطؤ، ولا تلكؤ، ولا تأخير. من غير كلمة: « بعدين، طيب كمان شوية، بكره إن شاء الله »... هذا الكلام لا ينفع. الابن البار هو الذى يطيع بسرعة. ما أن تخرج الكلمة من فم أحد والديه، حتى توضع مباشرة موضع التنفيذ. إن فعل الابن هكذا، لا بد أن يحصل على محبة والديه وينال البركة والدعاء...

## قصة من البستان :

توجد قصة لطيفة في بستان الرهبان عن الطاعة: قيل مرة لأحد الشيوخ: « لماذا تحب ابنك الروحي فلان أكثر من الباقين وتفضله عليهم؟ ». فأجاب سائليه:

« إنتظروا ، إنتظروا » . ثم نادى على تلاميذه طالباً شيئاً . فتباطأ الكل في التنفيذ . أما هذا الإبن ، فإنه كان جالساً يكتب . فلما سمع نداء أبيه الروحي ، قام بسرعة ، لدرجة أنه لم يكمل كتابة الحرف الذى وصل إليه عند سماعه صوت معلمه . ولما رأى الناس ذلك إندهبوا ...

هذه الطاعة السريعة نجدها واضحة أيضاً في العسكرية . لا بد للجندي أن يطيع بسرعة ، بغير تأخير ولا تباطؤ . ولعل هذه هي إحدى الفضائل التي يحصل عليها من تدرب فترة في الجيش .

ج - طاعة في غيابها ...

والطاعة التي تنال رضى الوالدين تكون في غيابها كما في حضورهما .

**قصة :**

يحكى عن أحد الشبان أن أتى إليه أصحابه يدعونه للذهاب معهم إلى مكان ما . فأعذر قائلاً : « لا أستطيع لأن والدى أمرنى بعدم الذهاب إلى هناك » . فقالوا له : « لا تخف . تعال معنا ، وأبوك سوف لا يعلم » . فأجابهم : « نعم ، يمكن أن أذهب دون أن يعلم أبى ، ولكننى إن فعلت هذا ، فإننى عندما أرجع لا أستطيع أن أرفع عيني في وجه أبى . سيملكنى شعور بالخجل منه لأننى خالفت كلامه » ...

د - طاعة برضى ...

ينبغى للطاعة الحقيقية أن تكون برضى القلب ، بدون تدمير ، هناك أولاد ينفذون الأمر ، ولكن بتدمير القلب ، وأحياناً بتدمير اللسان . يمشون في الطريق وهم يكلمون أنفسهم ، ويتلفظون بعبارات إحتجاج وسخط على هذا الأمر الذى ينفذونه . هؤلاء يطيعون طاعة آلية . عن غير رغبة ، وعن غير حب . وقد ينفذون الأمر الذى صدر إليهم ، دون أن يكسبوا قلب الذى أمرهم ورضاه . وقد يكون تنفيذهم أحياناً عن خوف ، وليس عن حب وإكرام ...

وهناك من لا يطيعون إلا بعد جدل شديد ونقاش عنيف . وكل أمر يصدر إليهم يقتلونه فحماً وتحليلاً ، ويرهقون أعصاب من يأمرهم بكثرة النقاش ، لدرجة أن لأب قد يتنازل عن أمره من تعب النقاش ، أو يفضل عدم طلب شيء من مثل هذا لإبن الكثير الجدل ...

ما أجل قصة شجرة الطاعة : التي فيها أمر ذلك الشيخ القديس تلميذه يوحنا بأن يفرس عصا ناشفة ويروها كل يوم ، وظل ذلك الإبن المطيع يروى الخشبة ثلاث سنوات دون جدال أو نقاش ، على الرغم من غرابة الأمر الصادر إليه . ومن أجل إيمانه وطاعته ، أثمرت تلك العصا كما أفرخت عصا هارون ، وصارت شجرة دعيت : ( شجرة الطاعة ) .

أخيراً هناك صفة أساسية في الطاعة ، وهي أن تكون :

## طاعة في الرب

هكذا قال الرسول : « أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب ، لأن هذا حق » ( أف ٦ : ١ ) . وعبارة « في الرب » معناها ( في حدود وصايا الله ) . حقاً إذن ما أجل الطاعة والخضوع ، ولكن في الرب .

فإن أطعت أباً أو مرشداً فيما يخالف وصايا الله ، فإنكما كلاهما تسقطان في حفرة ، هذا إذا كانت المخالفة واضحة . نقول هذا لأنه يوجد أحياناً بعض آباء منحرفين ...

كن مطيعاً يا أخى ، وأخضع في كل شيء ، بكل إتضاع ، حتى الموت ، إنكر ذاتك ، وإنكر مشيئتك ، وإنكر كرامتك . ولكن لا تنكر ضميرك .

وفي الطاعة ، أسلك بحكمة ، وبإفراز ، وتذكر قول القديس أنطونيوس الكبير : [ إن أمرت بشيء يوافق مشيئة الله فاحفظه . وإن أمرت بما يخالف الوصايا ، فقل إن الطاعة لله أولى من الطاعة للناس . وأذكر قول الرب : « إن غنمى تعرف صوتى وتتبعنى وما تتبع الغرب » ] ( يو ١٠ ) . ( بستان الرهبان ج ١ ص ٩ ) .

مثال بنى ركاب :

لعل من أروع الأمثلة للطاعة ، ما فعله بنو ركاب ، مما ورد شرحه في الأصحاح ٣٥ من سفر أرمياء النبي ، هؤلاء الذين أراد الرب أن يقدمهم مثلاً للطاعة يبكت به عصيان إسرائيل (٢) ... فأرسل إليهم أرمياء النبي ليقول لهم : « إشربوا خمرأ » .

وكان الرب يعلم أنهم سوف لا يطيعون حتى هذا النبي العظيم . وكان يعلم أن في عدم طاعتهم للنبي يكمن عمق الطاعة ، في معناها الحقيقي ، في حكمة وإفراز ...

أخذهم النبي إلى بيت الرب ، إلى أحد المخادع ، حسب قول الرب له . ووضع أمامهم طاسات مملّنة خمرأ ، وقال لهم : « إشرّبوا خمرأ » . فقالوا : « لا نشرب » .

قالوا كلمة « لا » للنبي ، وقالوها بضمير مستريح ، ولم يخافوا . وسر الله جداً بعدم طاعتهم للنبي ، وكافأهم على ذلك .

لقد كان هذا من الرب إختباراً لهم لتقدّمهم كمثال . وأعتبر الرب موقفهم هذا نموذجاً عالياً للطاعة ، مدحهم بسببه وكافأهم عليه ، وبكت بهم شعبه العاصي !!

كانوا مقدرين أنهم لو أطاعوا أرميا النبي العظيم في هذا الأمر ، لكانت طاعتهم له كسراً للمبدأ الروحي السليم الذي ساروا عليه زمنأ طويلاً ، مطيعين فيه الوصية الخامسة التي أمر بها الله من قبل . ووصايا الله لا ينقض بعضها بعضاً ...

هنا - إذ ننظر في إعجاب كبير إلى موقف الركابيين - نتأمل في إعجاب أكبر قول بولس الرسول في الطاعة :

« ... إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم ، فليكن أناثيمأ (أى محروماً) » (غل ١ : ٨) .

لا حظوا أن الرسول لم يقل : « إن بشرناكم نحن أو ملاك بغير ما بشرناكم به ، فلا تطيعوا » ، وإنما قال أكثر من هذا : « فليكن محروماً » ...

وقد إستفاض القديس باسيليوس الكبير في شرح هذه الآية ، مبيناً أهمية هذا المبدأ العظيم الذي قدمه لنا الرسول عن الطاعة ، وقال معلقاً في بيان خطورة هذا المبدأ : [ إن بولس الرسول جسر في ذلك أن يحرم ملائكة ] .

ولما كان موضوع الطاعة والخضوع حساساً ومهماً بالنسبة إلى غالبية أنواع الأبوة ، لذلك قد خصصنا له الفصل المقبل من هذا الكتاب ...

## حَوْلُ الطَّاعَةِ وَالْخِضُوعِ

إنه سؤال كثيراً ما يحير الناس وهم يقولون :

إلى أى حد يطيع الإنسان ويخضع ؟ هل هي طاعة مطلقة ؟ وماذا يفعل إذا اصطدمت الطاعة بضميره ؟ هل يخضع - تواضعاً - أم يطيع ضميره حتى إن وصفوه بالكبرياء ؟!

نجيب بأن الطاعة ينبغي أن تفهم في حكمة ، كما ينبغي أن يفهم التواضع في حكمة أيضاً . الطاعة أولاً وقبل كل شيء وقبل كل أحد ، موجهة إلى الله . ثم بعد ذلك نطيع الناس في نطاق طاعتنا لله .

أما إذا اصطدمت الطاعتان ، طاعة الله بطاعة الناس ، فلا شك أن ضمير الإنسان يصغى حينئذ إلى قول بطرس الرسول : « ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس » ( أع ٥ : ٢١ ) .

إذن في حدود وصايا الله ، وداخل نطاق الوصية ، ينبغي لك أن تطيع والديك . فإذا أمرك أب أو أم أمراً يكسر وصية من وصايا الله ، حينئذ بضمير مستريح لا تسمع لأى منها . إن الله يطالب بطاعتها طالما كانت أوامرها لا تتعارض مع طاعة الله .

**أمثلة من الإغراف :**

● إن قال لك أبوك مثلاً : « لوحد سأل عنى ، قل له إني مش هنا » ، فلا يصح حينئذ أن تطيعه . ويمكنك أن ترفض هذا الأمر في أدب وذوق .

● وإن كان أبوك تاجراً ، واشترى بضاعة بعشرين جنيهاً ويريد أن يبيعها بأربعين . لذلك قال لك : « إن سألك أحد عن البضاعة قل له إننا إشتريناها بسبعة وثلاثين جنيهاً » ففي هذا أيضاً لا يجوز أن تطيع . في كل هذا تتذكر الآية التي تقول : « أطيعوا والديكم في الرب » .

في أمثال هذه الأمور لا يصح أن يحتج الآباء قائلين : أين الوصية الخامسة؟! الوصية الخامسة ذكرت في مقدمة اللوح الثاني ، ومخالفتها لها عقوبات كذا وكذا ... ! لذلك إن أراد الآباء أن يطيعهم الأولاد ، عليهم أن يصدروا أوامره في حدود وصايا الله .

● من المشاكل البارزة التي تقابل الأبناء المتدينين هي أوامر والدين غير متدينين . يقول الأب مثلاً لأولاده : « تعالوا لما أفسحكم الليلة دي في السيخا » ، وقد تكون رواية خليعة ! ويكون لهذا الأب ابن متدين ، فيعترض عن هذه الفسحة . ويصر الأب على طلبه ! ويثبت الإبن على مبادئه الروحية فيرفض الذهاب .

وهنا بدلاً من أن يترك الأب ابنه على حريته ، ويشجعه في تمسكه بالدين ، يظن المسكين أن سلطته قد إهتزت ، وتتحول منحة إلى أمر واجب التنفيذ ! ويتمسك بسلطانه كأب ، ويتمسك بالوصية الخامسة التي لا تنطبق بحرفيتها وقتذاك . ولكنه يلجأ إلى الإتهام وإلى العقاب : وتكون النتيجة أن الولد يقف أمام مشكلة :

أيها يطيع : هل يطيع الله أم يطيع أباه الجسداني ؟

هل يطيع أباه الذي في السموات أم أباً منحرفاً على الأرض؟!

ولأن الإبن رفض حضور رواية خليعة في السيخا حدثت كل هذه الثورة من هذا الأب المهم بسلطته وحرفية أوامره ، دون الإهتمام بروحيات أولاده ! ومن هذه النقطة يبدأ في وصف الإبن بالعقوق والعصيان والتمرد وعدم إحترام الوالدين : ويسيء معاملته ، ويحمل الإبن في كل يوم صليباً ...

● ونفس هذه الثورة تحدث من الأم التي تصر أن تلبس ابنتها المتدينة ملابس تكشف جسدها ، كما تصر على تزين ابنتها بأسلوب لا يريح ضميرها .

وتصر الابنة المتدينة على أن تكون محتشمة في ملابسها وفي زينتها . فبدلاً من أن تلاقى تشجيعاً على تدينها ، تقابلها الأم بشوة « أنت ها تفضحيننا !! عايزاهم يقولوا عليك إنك فلاحه . يقولوا ماهاش أم تعتنى بها . لازم تطاوعى وتلبسى غصب عنك ... وإلاً : مافيش كنيسة » ، نفس نغمة الأب وطريقته ...

أيا الآباء والأمهات :

إذا أردتم أن تحتفظوا بكرامتكم ، إجعلوا أوامركم ونصائحكم لأبنائكم المتدينين وبناتكم المتدينات مطابقة لوصايا الله ، ومریحة لضمائرهم . إصدروا أوامر يمكنهم أن ينفذوها . والمثل يقول : « إذا أردت أن تطاع ، فسل ما استطاع » .

إن الله يوصى بطاعة الوالدين . هذا حق . ولكنه يقول أيضاً : « أطيعوا والديكم في الرب » .

والمسيحية ليست مجرد آية واحدة ، وإنما هي روح . ومن الخطر أن نأخذ جزءاً من التعليم ، ونترك الجزء الآخر المكمل له ، لأن أنصاف الحقائق ليست كلها حقائق .

لا تغيظوا أولادكم :

فلنتأمل ما قاله بولس الرسول في رسالته إلى أفسس :

قال : أيا الأولاد أطيعوا والديكم في الرب لأن هذا حق . إكرم أباك وأمك ... ( هذا هو نصف التعليم . وما هو النصف الآخر؟ ) يقول : « وأنتم أيا الآباء لا تغيظوا أولادكم ، بل ربوهم بتأديب الرب » ( أف ٦ : ١ - ٤ )

إذن نصف التعليم موجه إلى الأبناء : « أطيعوا والديكم في الرب » . والنصف الآخر تحذير موجه إلى الآباء : « لا تغيظوا أولادكم » .

وعبارة : « لا تغيظوا أولادكم » كررها بولس الرسول مرة أخرى في رسالته إلى كولوسي ، مع تحذير موجه إلى الآباء .

( كو ٣ : ٢٠ ، ٢١ ) .

وكان الله يخاطب كل أب هكذا : إبنك هذا ، أنا وضعت في يديك ، وأعطيتك وصايا كثيرة أن يطيعك ... ولكن عليك أنت ألا تستغل هذه الطاعة في أن تضغط عليه ، وتتعب نفسيته وضميره ، وترهقه بما هو فوق طاقته ، لئلا يفشل ، وإن فشل ، سأطلب دمه من يديك .

لذلك كما تكلمنا عن واجب الأبناء حيال آبائهم ، لا بد أن نتكلم أيضاً عن واجب الآباء وهذا ما سنخصص له الفصل المقبل من هذا الكتاب .

## الفصل الرابع واجب الآباء نحو أبنائهم

إن إكرام الوالدين ، يقابله هو أيضاً ذلك المبدأ المعروف :  
كل حق يقابله واجب ...

فلا يصح أن الوالدين يطالبان على الدوام بحقوق ، دون أن يؤديوا ما عليهم من واجبات . هذا أقوله للآباء والأمهات . أما الأبناء فأقول : يجب عليكم أن تكرموا والديكم حتى إن لم يقم أحد منها بواجباته نحوكم ...

ومن أهم واجبات الآباء والأمهات : تربية الأبناء في خوف الله ، وحسن معاملتهم ، والإنفاق عليهم ، ورعايتهم وتعليمهم ، وتقديم حياتهم قدوة صالحة لهم ، وتأديبهم كما يليق ، في حزم ممزوج بحبة وعطف .

تربية الأولاد في خوف الله ...

إن الآباء والأمهات هم أشابن لأولادهم ، تعهدوا أمام الكنيسة في يوم عمادهم أن يربوهم في حياة الإيمان والفضيلة . فهم مسئولون أمام الله عن أبنائهم في تنشئتهم تنشئة روحية صالحة .

غير أن كثيرين من الآباء والأمهات يقصرون إهتمامهم بأولادهم على الأمور الجسدية والمادية فقط دون الإهتمام بروحياتهم .

كل إهتمامهم بأولادهم منصب على نواحي المأكل والملبس ، والصحة الجسدية ، وتهيئة الإبن لكي يجد وظيفة ومركزاً ، وتهيئة البنت لكي تتزوج وتستقر في بيت . أما حياة أولادهم الروحية ، وضمان مستقبلهم الأبدى ، فهي أمور ليست موضعاً للتفكير ، كأن لا أهمية لها في نظر الآباء والأمهات !!

فإن شب أحد من أولادكم فاسداً أو سيء الخلق أو كان سبباً في تعبكم ، فلا شك أنكم تحصدون ثمرة أيديكم . لقد كان هذا الإبن في يوم من الأيام عجينة لينة طيبة في أيديكم تشكلونها كما تشاءون ، فلماذا لم تهتموا به لكي يكون إبناً صالحاً يُفرح قلوبكم ويُفرح قلب الله ؟



إننا لا ننكر أنه يوجد أحياناً بعض أولاد شواذ ...

فآدم كان من أولاده هايل البار ، وأيضاً قاين القاتل ، ونوح كان من أولاده سام ويافث المباركان ، وأيضاً حام الذى لم يستر عورة أبيه وتسبب فى لعنة كنعان . ويعقوب كان من أولاده يوسف الصديق ، وأيضاً أخوته الذين باعوه وكذبوا على أبيهم يعقوب ، وإسحق نفسه كان من أولاده يعقوب البار وأيضاً عيسو المستبيح الذى باع البكورية بأكلة عدس ... وما أكثر الأمثلة إن حاولنا أن نحصيها .

ولكن ليس معنى هذا أن تترك ابنك يفسد ، وتقول : أنا مثل أبينا إسحق الذى كان ابنه عيسو قاتلاً ومستبيحاً ! ...

ليس هذا عذراً لك ، فربما ظروفك وظروف ابنك تختلف عن حالة إسحق وعيسو . أما إن كنت قد بذلت كل جهدك فى سبيل حياة ابنك الروحية ومستقبله الأبدى ، ولكنه على الرغم من كل هذا انحدر إلى الفساد لظروف خرجت عن إرادتك فى هذه الحالة يكون لك عذر ...

الزواج مسئولية أمام الله ...

مادام الوالدان مسئولين أمام الله عن تربية أبنائهما وتقديم حياتها قدوة عملية صالحة أمامهم ، إذن فالزواج هو مسئولية بلا شك ...

إن الزواج ليس مجرد علاقة بين رجل وامرأة ، وإنما هو مسئولية تحتاج إلى كفاءة وإلى مؤهلات أبوة وأمومة ...

هل يصلح هذا الرجل المتقدم للزواج لأن يكون أباً ، يربى أولاده حسناً ، ويكون قدوة صالحة لهم ؟ وهل تصلح هذه الفتاة لأن تكون أمّاً تربي أولادها حسناً ، وتكون قدوة صالحة لهم ؟ وهل يصلح الإثنان لأن يكونا زوجين مثاليين ، يؤسسان بيتاً مقدساً ، لا خلاف فيه ولا شجار ، ولا خطأ يعثر الأولاد؟؟

إن الأمومة والأبوة ، يحتاجان هما أيضاً إلى مؤهلات : من حيث النضوج الروحى والذهنى ، والفهم السليم لواجبات الأمومة والأبوة ، وفهم نفسية الأولاد ، والقدرة على تربيتهم .

المعجب أن كل شاب يتقدم لخطبة فتاة ، يحصر تفكيره في نقطة واحدة وهي : هل هذه الفتاة تصلح لأن تكون رفيقة تسعد حياته ؟ دون أن يفكر فيها : هل تصلح أم أيضاً أم لا . ونفس التفكير يكون عند الفتاة نحو خطيبها !!

وتكون النتيجة أن ينجب الزوجان بنين ، وهما لا يعرفان طريقة التربية . فإن أخطأ الابن ، يقابلانه بالضرب ، والنرفزة والشتيمة ! ويتهمانه بالعقوق والتمرد والفساد ! ولكن ما هو واجبكما في تربيته ؟ لا شيء ، سوى التمسك بالوصية الخامسة كأنها مصدر للسلطة دون القيام بواجبات الأبوة وبواجبات الأمومة ... ! إن الأبوة هي واجب ومسئولية ، وليست مجرد سلطة . الأبوة هي رعاية ، هي عناية ، هي إهتمام ، هي حب وعطف وحنان ، هي جهد باذل في سبيل الأبناء حتى ينشأوا كاملين وصالحين ... وبنفس الأسلوب نتكلم عن الأمومة .

أمثلة فاضلة ...

وهنا نذكر بمزيد من الفخر أم صموئيل النبي ، التي ربت إبناً في مخافة الله ، ووهبته لخدمة الهيكل . وقالت عبارتها الجميلة : « لأجل هذا الصبي صليت ، فأعطاني الرب سؤالي الذي سألته من لدنه . وأنا أيضاً قد أعترته للرب . جميع أيام حياته هو عارية للرب » ( ١ صم ١ : ٢٤ - ٢٨ ) .

ونذكر أيضاً في إعجاب أم القديس تيموثاؤس الذي أرسل إليه بولس الرسول يقول : « أذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك ، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك إفنيكي ، ولكني موقن أنه فيك أيضاً » ( ٢ تي ١ : ٥ ) .

وبمزيد من الفخر أيضاً نذكر أم القديس أوغسطينوس القديسة مونيكا التي ظلت تبكي على إبنا حوالي العشرين سنة متضرعة إلى الله من أجاه ، وموصية عليه القديس امبروسيوس أسقف ميلان . حتى قال لها ذلك الأسقف البار : [ إن ابن هذه الدموع لا يهلك ] . وفعلاً تاب أوغسطينوس وصار قديساً بصلوات أمه ودموعها ...

ونذكر أيضاً بكل تمجيد وتقديس أمهات الشهداء الأبرار اللاتي ربين أولادهن في حب الله ، وكن يشجعن أبناءهن على الموت . ومنهن من إستشهد إبنائوها على حجرها . هؤلاء القديسات كان حنانهن الروحي طاغياً على كل حنان جسدي .

ولعل من الأمثلة الرائعة في الأمومة ، أم موسى النبي ... ما أعجب تأثيرها

الروحي العميق على إبنا على الرغم من ضآلة فترة الطفولة التي قضاها معها . ما هي الفترة التي قضاها موسى مع أمه ؟ إن إبنة فرعون سلمته أياها رضيعاً . وظل معها حتى فطم وكبر وإستطاع أن يمشی على رجلیه ... وعندئذ أرجعته إلى إبنة فرعون فصار لها إبناً ...

ولكن هذه الأم العجيبة المتدينة ، إستطاعت في تلك السنوات القليلة أن تشبع إبنا بكل مبادئ الدين ، وتفرس فيه كل قواعد الإيمان . حتى أن أربعين سنة قضاها موسى في قصر فرعون بكل ما فيه من عبادة وثنية ، لم تستطع أن تنزع منه الإيمان الراسخ الذي أخذه من أمه في سنوات طفولته الأولى ...

إنها فترة ضئيلة تلك التي عاشها مع أمه ، ولكن كم كان أعماها . بها تأهل للخطوة الأولى من زعامته الروحية ...

وأنت أيتها الأم الحاضرة معنا الآن ، كم سنة قضاها إبنا في رعايتك ، أو كم عشرات السنوات ؟ أراك بعد عشرين سنة من ولادته تبكين من سوء خلقه ومن شراسة طبعه !!

طوال هذه السنين التي قضاها معك ، ما هو التأثير الروحي الذي أخذه منك ، بخاصة عندما كان عجيبة لينة في يديك ؟!

ليتك تأخذين قدوة صالحة من أم موسى وغيرها من الأمهات القديسات ، حتى تعرفي حقيقة واجبك الروحي كام ...

وقبل أن تسأل عن مدى طاعة إبناك للوصية الخامسة ، نسألك نحن : ما هو الإعداد الروحي الذي أعددت به إبناك ، ليكون إبناً صالحاً ينفذ هذه الوصية وغيرها من الوصايا ؟!

وما أقوله للأم ، أقوله أيضاً للأب . ولنضع أمامنا ، قصة عالي الكاهن ، الذي لم يرب أولاده في خوف الله . ولنخف من المصير المريع الذي تعرض له نتيجة لإهماله في تربية أبنائه ... ( ١ صم ٣ : ١٠ - ١٤ ؛ ٤ : ١٨ ) .

## العمل الروحي في البيت :

وأنتم أيها الآباء والأمهات ، ما هو العمل الروحي الذي تقومون به في بيوتكم المقدسة ، من أجل أنفسكم ، ومن أجل أولادكم ؟

هل لكم صلوات عائلية ، تجتمع فيها الأسرة كلها معاً للصلاة ، وتعودون أولادكم الصلاة من صغرهم ؟ وعلى الأقل هل أنتم تصلون من أجل أولادكم ، بمواظبة ؟

وهل تقيمون القداسات وترفعون القرايين من أجل أولادكم . إن أيوب الصديق في العهد القديم يوبخنا جميعاً بما كان يفعله . لقد كان مواظباً على تقديم المحرقات من أجل أولاده « على عددهم كلهم » « لأن أيوب قال : ربما أخطأ بني وجدفوا على الله في قلوبهم . هكذا كان أيوب كل الأيام » ( أى ١ : ٥ ) .

وهل تقرأون الكتاب ، وتشرحون قصصه لأولادكم ، وتحفظونهم آياته ؟ ... هكذا قال الرب لكل منا من جهة وصاياه : « ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك ، وتكلم بها حين تجلس في بيتك » ( تث ٦ : ٦ ، ٧ ) فمن منكم ينفذ هذه الوصية في بيته ؟

في مرة من المرات أشار لي صديق على أحد الشبان ، وقال لي : إنه من عائلة طيبة . إنني أذكره منذ كان طفلاً صغيراً وكانت أمه قديسة ، تأتي به وبأخويه معه إلى الكنيسة ، وتسجد مع أولادها الثلاثة أمام المذبح بكل خشوع ، ولقد مرت سنوات طويلة ، وصار هذا الطفل شاباً ، ولكنني لم أنس أبداً منظر تلك الأم القديسة هي وأطفالها الثلاثة ، وهم سجدوا معاً بكل خشوع أمام المذبح ...

إن التربية الروحية منذ الصغر لها تأثيرها بلا شك ، خاصة في البيت المسيحي الذي تسوده المحبة والسلام والقدوة الصالحة .

## حنان جسدي لا روحي !

غلطة الوالدين أن حنانها في غالبية الأوقات يكون حناناً جسدياً . أما الحنان الروحي فهو غير موجود .

يأتي الصوم ، فإذا يسمع الأبناء من والديهم ؟ « يا أولاد ، أنتم صحتكم ضعيفة ، فلا تصوموا » !! وماذا عن صحتهم الروحية ؟ هذه للأسف الشديد لا

تدخل مطلقاً في برنامج تربية الوالدين لأبنائهم ! المهم أنهم يريدون لهم أن يسمنوا ،  
ويكبروا . كما لو كانت وظيفتهم فقط هي تربية لحوم ! أو كما لو كانوا آباء وأمّهات  
للأجساد فقط وليس للإبن كله ، كإنسان كامل ، بجسده وروحه .

ما أجل أن يأتي الصوم ، فتقول الأم القديسة لأولادها « يا أولادى ، لا  
يصح أن يمر علينا هذا الصوم بدون أن نستفيد روحياً . لازم نذل أجسادنا لكى  
نحيا أرواحنا وتنمو . لأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ؟ . حينئذ ينظر الأولاد إلى  
أمهم باحترام ، ويقولون : « أمنا هذه قديسة » .

أما إن أمرتهم بعدم الصوم ، وانضم الأب لها في هذا الرأى ، فأية فكرة إذن  
سيأخذها الأبناء عن والديهم ؟ بلا شك سيحاربهم الفكر بأن والديهم بعيدان عن الحياة  
الروحية ، وأن مهما كله في الجسد وشكله ونحوه !!

ما أبشعها خطية أن يأخذ الإبن فكرة سيئة عن والديه ، ويقل تقديره  
الداخلى لها !! ولكن ما هو السبب في هذه الخطية ، سوى العثرة التى يراها في  
حياة والديه وطريقة تفكيرهما ! ...

لماذا لا يكون الآباء روحيين ، والأمهات روحيات ؟! ما أحلى - إذا لاحظ الأب  
في يوم ما أن ابنه مقصر في واجباته الروحية - أن يقول له : « أنا شاعريا إبنى إنك في  
فتور روحى ، سأهديك كتاباً من سير القديسين قرأته قديماً وتأثرت به . أقرأه فتستفيد »  
أو « تعال بنا ، لنصلى معاً » ...

العجيب أن كثيراً من الشبان المتدينين والشابات المتدينات ، يجدون أن  
الأب والأم هما اللذان يعرقلان نموهم الروحى !! ويقفان عقبة في طريقهم نحو  
الله : يعطلان صلاة الأبناء ، ويعطلان صومهم ، ويعطلان عبادتهم وتدينهم ،  
ويعطلان ذهابهم للاجتماعات الدينية !! ويكثران التوبيخ إذا إمتنع الأولاد عن  
بعض المتع التى لا تريح ضمائرهم .

ويظن هؤلاء الآباء أن تلك المتع مادامت لا تضرهم هم ولا تعثرهم ،  
فبالضرورة هى أيضاً لا تعثر أولادهم !! ناسين الفارق فى السن ونوع الحياة !

لست أدرى كيف سيقدم هؤلاء الآباء والأمهات حساباً أمام الله عن حياة

أولادهم الروحية ؟! ...

أما عن التكريس فهو مشكلة المشاكل دائماً مع الوالدين .

## الوالدان والتكريس :

عندما يريد أحد الأبناء أن يكرس نفسه لخدمة الرب ، فأول من يقف ضده هو الأب والأم !! كأنه في طريق الاعدام أو السجن !

كل هم الأم أن تتزوج إبنها وتستقر في بيت . أما إن أرادت تكريس نفسها للرب ، فإن الدنيا تقوم وتقعده . وتظل الأم تضغط وتضغط ، بالأفكار تارة ، وبالبيكاء تارة أخرى ، وبالتهديد مرات عديدة... « أمك هاتموت . أمك جاهها ضغط » . ويضغطون على البنت المسكينة « ها تقتلي أمك ، حرام عليكى » !! كل ذلك من أجل إتجاه روحى مقدس يحتاج إلى حكمة في مواجهته لا إلى ثورة ...

ويتطور الأمر إلى خطيب يأتي ، ولا بد أن تقابله البنت ، وتحسن مقابله ، وإلا فإنها ستقتل أمها ! والخطيب الوحيد المرفوض هو السيد المسيح ، الذى قال عنه بولس الرسول « خطبتكم ... لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » ( ٢ كو ١١ : ٢ ) .

نقطة أخرى في واجبات الوالدين وهى :

## المحبة وحسن المعاملة :

أيها الآباء والأمهات ، كونوا أشخاصاً روحيين ، يحترمكم أولادكم . إكسبوا ثقتهم ، وإكسبوا تقديرهم ، بشخصيتكم الروحية ، لا بسطانتكم .

لا تظنوا أن الأبوة هى مجرد سلطة . كلا ، إنها حب وحنان وعطف ، إنها البال الطويل والقلب الواسع الذى يرح فيه الإبن ، ويستريح . إنها البذل والتضحية ...

وإذا خلت الأبوة من حنانها ، تصبح لقباً ميتاً لا حياة فيه . وإذا إهتم الأب بمجرد السيطرة ، وأشبع فى نفسه شهوة الأمر والنهى ، لمجرد الأمر والنهى ، وإعتزازاً بمركزه فى الأسرة ، إذن فهو حاكم وسيد ، وليس أباً ...

ودلالة الأبوة على الحنان والرأفة ، هى ما قصده الرب إلهنا عندما طلب إلينا أن ندعوه : « أبانا » . وهكذا قال يوحنا الرسول : « أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله » ( ١ يو ٣ : ١ ) . وعن هذا المعنى عينه قال داود فى المزمور :

« كما يترأف الآب على البنين ، يترأف الرب على خائفيه » ( مز ١٠٣ : ١٣ ) .

● ومن علامات محبتكم لأولادكم ألا تضغطوا على نفسياتهم ، وأن تأمرهم في حدود طاقتهم ، وأن تقنعوهم بأوامركم إذا بدت غريبة عليهم . لا تظنوا أن في شيء من هذا أقللاً لمركزكم . إجعلوا طاعتهم لكم ، يكون مصدرها من الداخل ، من إقتناع قلوبهم ، وليس بارغام من الخارج .  
أنظروا لماذا يطيع الأبناء مرشديهم الروحيين أكثر من والديهم ؟ إن هذا لعدة أسباب بلا شك :

- ١ - لثقتهم في روحانية هؤلاء المرشدين ، وأن كلامهم هو صوت الرب لهم . هذه الثقة التي أنصحكم باقتنائها .
- ٢ - لأن هؤلاء المرشدين يكلمونهم بحب لا بسيطرة ، كأصدقاء ، لا يسمعون منهم عبارة : « أنا قلت كده يعنى كده » ...
- ٣ - لأنهم يقنعونهم ، لا يصدرون إليهم الأوامر واجبة التنفيذ ، وإنما يشرحون الفكرة ، حتى يفهموها فينفذوها ... والكلمة القوية المقنعة مطاعة مهما كان مصدرها .
- ٤ - لأنهم يحترمون شخصية أولادكم وعقلياتهم . ما أحكم المثل القائل : « إن كبر ابنك ، نخاويه » أى عامله كأخ .

● من علامات محبتكم لأولادكم أن تمنحوهم حرية تحت رقابتكم . الله نفسه يمنحنا الحرية ولا يجعلنا مسيرين . لذلك :

- لا ترغموا أولادكم فيما يتعلق بزيجتهم . إنصحوهم ، ولكن لا ترغموهم . لا بد أن يوافق كل منهم على من يقضى معه فترة العمر كلها .
- لا ترغموهم فيما يختص بمستقبلهم . إنصحوهم ، ولكن لا ترغموهم . كل منهم له إتجاهه الخاص الذى يتفق ونفسيته وعقليته ومواهبه ...
- أعطوهم حرية في تدينهم . وتأكدوا أن تدينهم مفيد لهم ولكم ، على الأرض وفي السماء . ولا تقفوا عقبة في حياتهم الروحية ، لئلا تفقدوهم .

## الفصل الخامس

### شهدوا إكرام الوالدين

إلى أى حد يكرم الإنسان والديه ! إن كانت هناك حدود معينة ، فما هى ؟ للإجابة على هذا السؤال نقول أنه يجب على الإنسان أن يحب والديه ويكرمهما إلى آخر ما تصل إليه إمكانياته . ولكن عليه ألا تصطدم محبته بوالديه بمقدسات أخرى . فحبتها :

١ - لا تكون أزيد من محبته لله :

وهذا الأمر تحدث عنه الرب بصراحة فقال : « من أحب أباً أو أمّاً أكثر منى ، فلا يستحقنى ... » ( مت ١٠ : ٣٥ - ٣٧ ) .

إذن تحب أباك وأمك ، ولكن . إن اصطدمت محبتها بمحبتك لله ، فإنك تصفى حينئذ إلى قول الرب : « إن كان أحد يأتى إلىى ولا يبغض أباه وأمه و... حتى نفسه أيضاً ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً » ( لو ١٤ : ٢٦ ) طبعاً يحدث هذا إن كان أبوك وأمك يبعدانك عن طريق الرب ، أو إن كانا ضد الله أو ضد عمله .

فن أجل الله ومحبه ، يجب أن تطرح جانباً كل محبة أخرى . يمكن أن تترك الأب والأم والأقارب جميعاً . وفى ذلك قال الرب : « الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً أو أمّاً ... لأجلى ولأجل الإنجيل ، إلاً وبأخذ مائة ضعف الآن ... وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية » ( مر ١٠ : ٢٩ - ٣٠ ) .

إن محبة الله يجب أن توضع فوق كل محبة أخرى . ومحبة الوالدين يجب أن تكون داخل محبة الله . فلا يصح أن نكرم أباً على حساب محبة الله ، أو أن تجاهل أباً بكسر وصية من وصايا الله . ولا تشترك معه فى الباطل . وسنضرب لذلك مثلاً من الكتاب المقدس ومثلاً من تاريخ الكنيسة :

يونانان البار يوبخ أباه شاول :

أحب يونانان داود ، وكان شاول الملك أبو يونانان يحسد داود ويشتهى قتله



والتخلص منه . وكم من مرة حاول ذلك . أما يونانان فعمل كل جهده على إنقاذ داود .

رأى يونانان أن الحق في جانب ، وأباه في جانب آخر . فوقف إلى جوار الحق ، ضد أبيه . ولم يتملق أباه ، بل وبخه وجاهد لتحطيم خطط أبيه الشريرة

في إحدى المرات « كلم شاول يونانان إبنة وجميع عبيده أن يقتلوا داود » . فلم ينفذ يونانان هذا الأمر . ولم ينضم لأبيه في رأيه ولا في خطته . بل على العكس « تكلم يونانان عن داود حسناً مع شاول أبيه . وقال له : لا يخطيء الملك إلى عبده داود لأنه لم يخطيء إليك ، ولأن أعماله حسنة لك جداً ... لماذا تخطيء إلى دم بريء بقتل داود بلا سبب » ( ١ صم ١٩ : ١ - ٧ ) .

وهكذا بين يونانان لأبيه خطأه في حق داود . ومدح داود أمامه ولم يخف . واقنعه حتى رجع في تلك المرة عن فعله ولم يقتل داود ... ولم يتملق أباه ...

وأقام يونانان عهداً مع داود ، وهو يعلم أن أباه يكرهه ، وإتفق معه على خطة سرية تنقذه من أبيه ، ودافع عنه أمام أبيه حتى غضب أبوه منه ، وقال له : « يا ابن المتعوجة المتمردة ، أما علمت أنك قد اخترت ابن يسي لخريك ... لأنه مادام حياً على الأرض لا تثبت أنت ولا مملكتك . والآن أرسل وأت به إلتي ، لأنه ابن الموت هو » .

ولكن يونانان صمد أمام غضب أبيه ، وهاجم قرارات أبيه مرة أخرى ، حتى ثار أبوه وكاد أن يقتله ...

وفي ذلك يقول الكتاب : « فأجاب يونانان شاول أباه وقال له : لماذا يُقتل ( داود ) ؟ ماذا عمل ؟! فصابى شاول الرمح نحوه ليطعنه . فعلم يونانان أن أباه قد عزم على قتل داود . فقام يونانان عن المائدة بجمو غضب ولم يأكل خبزاً ... » ( ١ صم ٢٠ : ٣٠ - ٣٤ ) وذهب يونانان فأخبر داود ، وأنقذه « وقبّل كل منها صاحبه وبكى » . وقال يونانان لداود : اذهب بسلام ...

وهكذا نرى أن يونانان البار ، قد بكت أباه ، وشرح له خطأه ، ودافع أمامه بكل شجاعة عن داود الذي يكرهه أبوه . وتعرض لغضب أبيه وثورته . وبذل كل جهده حتى أفسد خطة أبيه في قتل داود .

أكانت الوصية الخامسة تلزم يونانان أن يشترك مع أبيه في قتل داود ، أو على الأقل يصمت ولا يعارض أباه ؟!! كلا . بلا شك . لو فعل يونانان كذلك - بفهم خاطيء للوصية - لأخطأ إلى الله ، وإلى داود ، وإلى نفسه ، وإلى شاول أبيه ...

### الملك سليمان وأمه :

مثال آخر من الكتاب المقدس ، وهو ما حدث بين سليمان الملك وأمه . جاءت أمه إليه ، فقابلها بكل إحترام ، وقام عن كرسيه وسجد لها ، ثم أجلسها إلى جواره . فقالت له : « إنما أسألك سؤالاً واحداً صغيراً ، لا تردني » فأجابها : « إسألني يا أمي لا أردك » . فطلبت منه أمه طلباً ضد الشريعة ، طلبت أن تعطى ابشيج الشونمية زوجة لأخيه ادونيا . وكانت أبشيج تعتبر زوجة لأبيها داود ، أو بمثابة ذلك ...

وعلى الرغم من الإحترام العظيم الذي قابل به سليمان أمه ، فإنه لم يجبها في وساطتها لأدونيا ، بل أمر بقتله .

وهكذا قال سليمان : « ... قد تكلم أدونيا بهذا الكلام ضد نفسه . والآن حتى هو الرب ... إنه يُقتل أدونيا » ( ١ مل ٢ : ١٩ - ٢٤ ) .

### القديسة دميانة توبخ أباه :

هذه القديسة العظيمة كان أبوها مرقس والياً على البرلس والزعفران في عهد الملك ديوقلديانوس الكافر . ونتيجة لضغط الملك ، بخر مرقس الوالى للأصنام .

فلما رجع إلى ولايته ، وعلمت إبنته بخبره ، دخلت عليه مغضبه . ووبخته توبيخاً شديداً ، وقالت له إنها تتبرأ من أبوته ، وإنه كان الأفضل لو رآته ميتا ...

ونتيجة لهذا التوبيخ الشديد أفاق أبوها من غفلته ، بكته ضميره ، فرجع إلى ديوقلديانوس ، وإعترف بالسيد المسيح ، ومات شهيداً وإنضم إلى القديسين .

ولم يكن توبيخ إبنته دميانة له كسراً للوصية الخامسة ، بل أنقاذاً لحياته من الهلاك الأبدي .

قلنا إنه من حدود إكرام الوالدين ، أن هذا الإكرام لا يتعارض مع محبة الله .  
نضيف نقطة أخرى هي :

يقول الكتاب : « يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته » ( تك ٢ : ٢٤ ، مت ١٩ : ٥ ، أف ٥ : ٣١ ) . فلا يصح أن يضحى الرجل بزوجه إكراماً لأبيه وأمه . إنى أنصح باستمرار ، من أجل سلامة الأسرة ، أن يسكن كل زوجين جديدين في بيت مستقل ، بعيداً عن الإحتكاك بالأب والأم .

فالأم التي تحب أن يظل ابنها في حضنها وبيتها بعد أن يتزوج ، هي أم تكسر الوصية القائلة : « يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته » .

فإن سكن الابن وحده ، وظلت أمه تعيره بأنه ابن عاق ، وأنه ترك أمه ونسى تعبها فيه ! فهذا الكلام لا يصح أن يقال . بل الأم الحكيمة هي التي تساعد أولادها وبناتها على الإرتباط بأزواجهم .

الأم الحكيمة إذا أتها ابنها غضبانه من زوجها ، لكي تقيم معها في البيت ، تقول لها : « لا يا بنتي ، بيتك هو بيت زوجك . إرجعي إلى زوجك واصطلحي معه لأن . الكتاب المقدس يأمر أن تتركي الأب والأم وتلتصقي بزوجه » . إن الحنان الزائف الذي تبديه الأم نحو ابنها في تشجيعها على ترك بيت زوجها ، هو سبب من الأسباب الجوهرية في كثير من مشاكل الأحوال الشخصية .

وكذلك فإن الرجل الذي يحب أمه أكثر من زوجته ، ويخرب بيته من أجل طاعة الأم ، هو أيضاً لا ينفذ وصية : « يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته » .

ولكن ليس معنى هذا أن تستغل الزوجة هذه الآية في جهل ، وتوغر قلب زوجها ضد أبيه وأمه ... وتقول له الكتاب يقول : « يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته » . وهذه التي تقسى قلب زوجها ضد أبيه وأمه ، لا تظنوا مطلقاً أنه سيحبها أكثر من والديه . لأن محبة الوالدين هي محبة طبيعية تجرى في الدم . أما محبة الزوجة فهي محبة مكتسبة تأتي بالخلطة والمعاشرة . والشخص الذي لا خير فيه لأبيه وأمه ، لا خير فيه أيضاً لزوجته .

أما قول الكتاب : « يترك أباه وأمه » . فالقصد منها بتركها من جهة المسكن ، ولكن لا يتركها من جهة المحبة والاحترام والعرفان بالجميل ، ولا من جهة الإعالة أيضاً في حدود إمكانياته ...

## أنواع أخرى من الأبوّة

### أقارب في مستوى الأبوين :

الوصية الخاصة بإكرام الوالدين لا تنطبق عليها وحدهما ، بل على من هم في مستواهم أيضاً ، مثل العم والخال ، والعمة والخالة ، والأجداد طبعاً لأنهم آباء الآباء .

والحمّاه تعتبر أمّاً ويسمونها بالإنجليزية Mother in Law  
وكذلك الصهر يعتبر أباً ، ويسمونه Father in law

صدقوني ، لو أن كل زوجة عاملت أم زوجها كأنها أمها ، وحماتها نظرت إليها كإبنتها ، لزالّت تلك المشكلة تماماً ...

وعلى العموم ، فإن كل الأقارب الذين هم أعلى منك درجة ، وأكبر منك سناً ، عاملهم كأباء وأمّهات . ولنسأ في حاجة إلى كتابة قائمة طويلة بكل هؤلاء الأقارب . والأخ الأكبر ينبغي أن تعامله باحترام ، وكذلك الأخت الكبرى . هناك أنواع أخرى من الأبوّة ، خارج القرابة الجسدية ، من أمثلتها :

## الأبوّة الروحية ، واحترام الكهنّة والقدّيسين

كما أن لنا آباء وأمّهات بالجسد ، كذلك أعطانا الله أمّاً روحية وهي الكنيسة ، وآباء روحيين هم الأنبياء والرسل والأساقفة والكهنّة ، والقدّيسون عموماً ...

### أمثلة من الأبوّة الروحية :

إبراهيم أبو الآباء دعى أباً لجميعنا « ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة » مع أنهم ليسوا من نسله بالجسد . « أباً للأمم كثيرة ... ليس لمن هو من الناموس فقط ، بل أيضاً لمن هو من إيمان إبراهيم الذي هو أب لجميعنا » ( روم ٤ : ١١-١٦ ) . اليشع النبي عندما رأى إيليا النبي صاعداً إلى السماء صرخ قائلاً : « يا أبي يا أبي ، مركبة إسرائيل وفرسانها » ( ٢ مل ٢ : ١٢ ) .

وبنفس هذا النداء أيضاً خاطب يواش الملك الإشع النبي ( ٢ مل ١٣ : ١٤ )  
وكان الإشع وإيليا بتولين ، ولكنها أبوة روحية .

وعن هذه الأبوة الروحانية يرسل بولس الرسول إلى فليمون من جهة انسيموس  
فيقول : « أطلب إليك لأجل إبني انسيموس الذي ولدته في قيودي » ( في ١٠ ) .  
وبولس الرسول كان بتولاً ، وأبوته لانسيموس هي أبوة روحية ، وكذلك أبوته  
لتيموثاوس ، الذي قال عنه : « تيموثاوس الابن الصريح في الإيمان » ( ١ تي ١ :  
٢ ) وأيضاً : « تيموثاوس الابن الحبيب » ( ٢ تي ٢ : ٢ ) .

وعن هذه الأبوة الروحانية أرسل بولس الرسول إلى أهل غلاطية يقول لهم : « يا  
أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً » ( غل ٤ : ١٩ ) كما أرسل إلى أهل كورنثوس  
يقول : « ... كأولادي الأحباء أنذركم . لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في  
المسيح . لكن ليس آباء كثيرون ، لأنني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل .  
لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذي هو إبني الحبيب ... » ( ١ كو ٤ : ١٤ - ١٧ ) .

ويوحنا الرسول - وهو بتول أيضاً - تحدث عن أبوته الروحانية ، فكتب يقول :  
« يا أولادي ، أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا » ( ١ يو ٢ : ٢ ) . « ليس لي فرح  
أعظم من هذا ، أن أسمع عن أولادي أنهم يسلكون بالحق » ( ٣ يو ٤ ) .

والدسقولية تقول في بابها السادس عن الأسقف أنه : « أبوكم بعد الله » .  
والكنيسة تقول عن القديسين في المجمع : « آباءنا القديسين » . ونقول في أوشية  
الراقدين : « أطلبوا عن آباءنا وإخوتنا الذين رقدوا ... آباءنا القديسين رؤساء الأساقفة ،  
وآباءنا الأساقفة ، وآباءنا القمامسة ، وآباءنا القسوس ، وآباءنا الرهبان ... » .

ومن إعتزاز الكنيسة بلقب الأبوة الذي يدل على غاية الحنان والحب ، تسمى  
رئيس الأبحار « البابا » . وتطلق على الأساقفة لقب « أنبا » أي ( أب ) .

ذلك لأن المحبة التي يحملها لقب الأبوة هي الدعامة الأولى للرعاية والخدمة .

الأبوة أعمق تأثيراً من السيادة (١) ...

مع إعترافنا بأن الأسقف سيد ورئيس وملك وراع كما تدعوه الدسقولية ، إلا أننا

(١) نقلناها عن ( الكرازة ) من العديدين ٤ ، ٥ سنة ١٩٦٦ م .

عندما نقول : « أبونا الأسقف » و « أبونا المطران » و « أبونا البطريرك » ، إنما يملكنا إحساس قوى بعاطفة أعمق بكثير من رسميات الرئاسة والسلطة . يكنى أن الله ذاته نناديه قائلين : « أبانا » دون أى إنقاص من سلطته علينا .

وأنت يا الأب الأسقف ، عندما تنسى إنك رئيس وسيد ، وتذكر فقط أنك أب تجمع أولادك في حضنك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ، حينئذ ستعيش في جو من المحبة ، وتربطك بأولادك المحبة أكثر من الخضوع .

من حقدك أن تأمر فتطاع . ولكن حسن ان تنسى سلطانك ، وأن يطيعك الناس حباً فيك لا خوفاً منك ، وطلباً لبركاتك ورضاك لا إبقاء لعقوباتك وسلطة كهنوتك .

بالحب تكسب نوعاً آخر من الخضوع هو خضوع الثقة ورضا القلب ...  
وما أجمل قول الكتاب :

**« إن صرتَ اليوم عبداً لهذا الشعب ، وخدمتهم وأحببتهم ،  
وكلمتهم كلاماً صلباً ، يكونون لك عبداً كل الأيام . » (مل ١٢ : ٧)**

ليست أبوة الرعاية لقباً رسمياً ، بقدر ما هي حالة من الحب والعناية والعطف ، يلمسها عملياً كل من يتصل بالراعى عن قرب أو بُعد . فالراعى هو القلب الواسع الكبير ، الذى يلجأ إليه الجميع ، فيجدون عنده حلاً لمشاكلهم ، أو على الأقل عزاءً في ضيقاتهم ...

الراعى الحقيقى يدخل مدرسة الحب قبل مدرسة الخدمة . يتخذة الناس أباً عن جدارة لا عن وظيفة . حتى إن قلت مواهبه ، تعوضها محبته ...

إن السيادة الحقيقية للراعى هي سيادته على القلوب بالحب ، ولا يصح أن تأخذ مظهراً عالمياً ينحرف بها إلى حب للسيادة والتسلط !! إن عمله هو كسب النفوس للرب ، وليس كسب طاعتهم وخضوعهم لشخصه !

وما أسهل أن يحاول الراعى تبرير موقفه ، بأنه يقول : « لست أبحث عن كرامتى ، وإنما عن كرامة الكهنوت » !! إنه فهم خاطيء لكرامة الكهنوت . فالسيد المسيح لم يفقد كرامته ، عندما إنحنى وغسل أرجل تلاميذه ، بل إزدادت كرامته في أعيننا بخدمته لنا .

إن كنت تبيت مسروراً ، حينما تخضع غيرك لسلطانك الكهنوتي ، وتذنه تحت قدميك ، إذن فأنت مجرد سيد ولست أباً . أما إن كنت أباً بالحقيقة ، فلن يغمض لك جفن ، إن فهرت إبنك وأذلتته ، وبات بسبك متعباً ... !

**الطاعة والخضوع أمران سهلان ، ولكن أهم منها المحبة والاحترام .**

الراعى المحب يقنع أولاده بحكمة أوامره ، كما كان الرب يشرح و يفسر . وطريق الاقناع طويل ، ولكنه أثبت وأنفع . أما طريق السلطة ، فقصير ومختصر ولكنه خطر وغير ثابت . إنه يمكن أن يسير الأمور إلى حين ، ولكنه لا يرضى قلب الخاضع ، ولا يخلص نفس الأمر !

وقد يكسب الراعى خضوع الناس ، دون أن يكسب توقييرهم وتقديرهم . وقد ينال إحترامهم لوظيفته ، دون شخصه . أما الذين حلدوا ، فهم الذين وقرهم الناس وأحبهم الله ، لأشخاصهم ، مهما كانت وظائفهم ضئيلة ...

**محبة متبادلة :**

إذا خلت الرعاية من المحبة ، فقدت أقوى دعائها . بدون المحبة التى تربط الأب الروحى بأولاده ، لا يستطيع أن يعمل شيئاً لأجل خلاصهم ولفائدتهم الروحية .

بالمحبة يفتحون له قلوبهم ، وبالمحبة يعرف إحتياجاتهم الروحية . فتكون خدمته لهم واقعية عملية تتصل بهم عن قرب .

وبالمحبة يقبلون ما يقترحه من حلول لمشاكلهم . وبذلك تسهل خدمته . وبالمحبة يمكن للأبناء الروحيين أن يقبلوا من أبيهم الروحى التوبيخ والإنتهار والتأديب ، بل العقوبة أيضاً . لأنهم يعلمون أنه ليس بقسوة يعاملهم . فى كل شدة يتخذها ، إن اضطر إلى ذلك ، ويضعون أمامهم قول الكتاب : « أمينة هى جراح المحب » ( أم ٢٧ : ٦ ) . وبالعكس إن لم يكسب محبتهم ، ينظرون إلى تأديبه نظرة عداة ...

وبالمحبة يمكن للأبناء الروحيين أن يكلموا أباهم بصراحة تامة ، حتى النقد لا يخافون من مواجهته به بدالة وبإخلاص . عارفين أنه لا يتضايق من الصراحة ، وأنه قلب كبير يتسع لكل كلامهم ولكل أفكارهم وأيضاً لكل ما يحارهم به العدو نحوه من شكوك . وكما قال الرسول أن المحبة تطرد الخوف إلى خارج ( ١ يوح ٤ : ١٨ ) .

## أمثلة من سير القديسين :

هذه المحبة وجدنا لها أمثلة كثيرة في سير القديسين ، ظهرت في إلتفاف الرعية نحو راعيها باستمرار. كما حدث في إلتفاف الشعب حول أبيهم القديس أناسيوس الرسول في كل ضيقاته وفي كل مرة نُفئ فيها عن كرسيه . ومن أمثلتها المحبة التي قوبل بها ذهبي الفم . والمحبة التي قوبل بها القديس أغناطيوس أسقف أنطاكية الذي عزم شعب رومة على إختطافه حتى لا يلقى طعاماً للأسود...

ومن أمثلة هذه المحبة العجيبة ما تمتع به بولس الرسول من أولاده الذين قال لهم مرة : « لأنى أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتموني » ( غل ٤ : ١٥ ) . هذه المحبة ظهرت في الوداع المؤثر الذى حدث في ميليتس حيث يقول الكتاب : وكان بكاء عظيم من الجميع . ووعقوا على عنق بولس يقبلونه ، متوجعين ولا سياً من الكلمة التي قالها أنهم لن يروا ووجهه أيضاً » ( أع ٢٠ : ٣٧ ، ٣٨ ) .

ما أعمق كلمات المحبة العاطفية التي تتضح كمثال رائع في ما ورد في رسالة بولس الرسول إلى رومية حيث يقول :

« سلموا على بريسكلا وإكيلا العاملين معى في المسيح يسوع اللذين وضعا عنقها من أجل حياتى ... سلموا على اينتوس حبيبي التي هو باكورة أخائية للمسيح . سلموا على امبلياس حبيبي في الرب . وعلى استاخيس حبيبي . سلموا على برسيس المحبوبة التي تعبت كثيراً في الرب . سلموا على روفس المختار في الرب وعلى أمه أمى ... » ( روم ١٦ : ٣-١٦ ) .

كثيرون وكثيرات يذكروهم بولس بالإسم بعبارات عاطفية ، كم مرة وصفهم بكلمة حبيبي ، وبكلمة المحبوبة ، وشكرهم على تعبهم من أجل الرب ومن أجله ، ووضعهم أعناقهم من أجل حياته ...

إنه الحب العجيب الذى يربطهم به ، وبنفس الأسلوب كان يتكلم عن أبنائه المحبوبين من الأساقفة ، مثل تيموثاوس « الإبن الحبيب » ( ٢ : ١ : ٢ ) .

بنفس أسلوب المحبة عاش يوحنا الرسول مع أولاده . يبدأ رسالته الثانية بقول : « الشيخ إلى كيريه المختارة وإلى أولادها الذين أنا أحبهم بالحق » . ويبدأ رسالته



الثالثة بقوله : « الشيخ إلى غايس الحبيب ، الذي أننا أعجبنا بالحق . أيها الحبيب في كل شيء أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً ، كما أن نفسك ناجحة » .

هذه المحبة مع الأبناء الروحيين تعلمها الرسل القديسون من الرب نفسه ، من عظم محبته لأولاده ، من المسيح الحنون المحب الذي بلغ من محبته أن استطاع يوحنا أن يتكىء على صدره ، يُلقب بلقب : « التلميذ الذي يسوع يحبه » . وبلغ من محبته للناس أن استطاعت المرأة الخاطئة أن تبل قدميه بدموعها وتمسحها بشعر رأسها . وقال الرب عنها أن خطاياها الكثيرة قد غفرت لها لأنها أحب كثيراً . ( لو ٧ : ٤٧ ) .

يسوع إلهنا المحب ، الذي أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى ( يو ١٣ : ١ ) . ومن أجل الحب بذل ذاته عنهم ، ومن أجل الحب ظهر لهم بعد القيامة يقوهم ويثبتهم في الإيمان . هذا الحب الذي جعل الأطفال يلتفون حوله ، وهتفون عند دخوله أورشليم ، ونساء كثيرات يتبعنه من الجليل ويخدمنه ( مت ٢٧ : ٥٥ ) . وهذا الحب الذي جعل بنات أورشليم يبكين عليه ( لو ٢٣ : ٢٨ ) .

كان الرب يسوع محبوباً وكان تلاميذه محبوبين . وكان خلفاؤهم الأساقفة محبوبين . وكان هذا الحب الذي يربط الأبوة الروحية بالأبناء هو الدعامة الأساسية للرعاية ...

إن ذكرت إذن كلمة « أب » ينبغي أن نذكر إلى جوارها نواحي محبته العملية . أما كلمة أب - بدون حب يظهر عملياً - فهي مجرد لقب لا روح فيه ولا يدل على شيء . الناس ينتظرون من الآباء الروحيين أن نظهروا أبوتهم بمحبتهم العملية ومحناتهم

أما الأبوة التي تطلب أكثر ما تعطى . وتوبخ أكثر مما تعزى ، وتجرح أكثر مما تريح ، فإنها محتاجة أن تراجع نفسها ، وتسعى لتكسب الحب الذي ليس هو وظيفة رسمية وإنما هو حنان وعطف وبذل ...

## إحترام القديسين وتوقيرهم :

إن إكرام الآباء ينطبق أيضاً على القديسين الذين رقدوا ، سواء منهم الآباء الشهداء ، أو أبطال الإيمان ، أو قديسو البرارى والرهبة ، أو الآباء الرعاة ...

وهؤلاء نكرمهم ببناء الكنائس على أسمائهم ، وبإقامة الأعياد لهم ، وبذكرهم في تسابيحنا وصلواتنا ، وبشر سيرتهم العطرة وسط الناس . وبقراءتها في سنكسار اليوم على المصلين ، والإحتفاظ بأيقوناتهم في كنائسنا وبصورهم في بيوتنا ... ونكرم القديسين أيضاً بإطلاق أسمائهم على أبنائنا ، وعلى جمعياتنا ومجلاتنا ومعاهدنا ومؤسساتنا . ونكرمهم بدوام تذكرهم والإستشفاع بهم ، كما نكرمهم بالاهتمام بأجسادهم وعظامهم . ونكرم القديسين بالأكثر بإتباع تعاليمهم وبنشرها ، والإقتداء العمل بحياتهم .

## أبوة السن ، واحترام الشيخوخة

هناك من هو في مركز أبيك من جهة القرابة الجسدية ، عليك أن تحترمه وتوقره . وهناك من هو في مركز أبيك من جهة السن ، عليك أيضاً أن تحترمه وتوقره . وعلى العموم ينبغي أن تحترم من هم أكبر منك سناً ...

نرى مثلاً لاحترام السن وتوقير الشيخوخة في قصة أيوب الصديق . كان لأيوب ثلاثة أصحاب هم اليفاز وبلدد وصوفر . وكان هناك صديق رابع اسمه اليهو . وظل الثلاثة يناقشون أيوب ٢٨ أصحاباً . واليهو صامت ، يسمع وهو ساكت ، لأنهم أكبر منه سناً ، وأخيراً عندما فشلوا في نقاشهم ، اضطر اليهو أن يتدخل ...

وبدأ اليهو كلامه بقوله : « أنا صغير في الأيام وأنتم شيخوخة . لأجل ذلك خفت وخشيت أن أبدى لكم رأيي . قلت الأيام تتكلم وكثرة السنين تُظهر حكمة » (أى ٣٢ : ٦ ، ٧) .

نستطيع أن نأخذ من هذا الموقف تعليماً ، أن الصغير ينبغي أن يصمت وسط

الكبار . يجلس ليسمع و يههم و يتعلم . وهذا موجود في أنبظية أثرهينة ، حيث لا يجوز للراهب المبتدىء أن يتكلم في مجمع الشيوخ .

لذلك قيل : لا تلق بكلمتك وسط الكبار . وإن سئل شخص كبير ولم يعرف ، فالأدب يمنع الصغير من أن يقول الإجابة وإن كان يعرفها . لا يصح للصغير أيضاً أن يرفع صوته في وجه من هو أكبر منه ، بل يكلمه باحترام .

بولس الرسول نفسه قال لتلميذه القديس تيموثاوس الأسقف - وكان صغير السن - منبهاً إلى إحترام الشيوخ ، « لا تزجر شيخاً ، بل عظه كأب ، والأحداث كأخوة ، والعجائز كأمهات ... » ( ١ تي ٥ : ١ ، ٢ ) فإن كان تيموثاوس الأسقف ، مفروض فيه أن يعامل الشيوخ كأباء والعجائز كأمهات فبالأولى الفرد العادي من الشعب ...

ونفس هذا الاحترام سلك به بولس نفسه نحو العجائز . فقال في رسالته إلى رومية ( رومية : ١٦ : ١٣ ) « سلموا على رؤس المختار في الرب ، وعلى أمه أمي » . فسامها أمه مع أنها من الناحية الروحية تعتبر من بناته .

وهكذا من جهة السن أيضاً أعتبر مرقس الرسول ابناً لبطرس . فقال عنه : « مرقس إبني » ( ١ بط ٥ : ١٣ ) .

لقد دعانا الرب أن نتخذ المتكأ الأخير في الولايم ( لوقا : ١٤ : ١٠ ) . هذا المتكأ الأخير ينبغى أن نتخذه مع كل من هو أكبر منا . فقال الكتاب : « من أمام الأشيب تقوم ، وتحترم وجه الشيخ » ( لا ١٩ : ٣٢ ) .

لا يصح أن تجلس ، وشخص أكبر منك واقف . ولتكن جلستك مهذبة أمام من هو أكبر منك . لا يصح أيضاً أن تجلس وتعطى ظهرك لمن هو أكبر منك . وإن كنت سائراً مع شخص أكبر منك . وهو يحمل حملاً ، فأحمله بدلاً منه ... وهكذا إحترام الكبار في أسلوبك أيضاً في الكلام ، وفي كل شيء قدمهم على نفسك .

كل هذا عن الاحترام ، أما عن الطاعة ، ففي حياتك الروحية تطيع أباك الروحي ومن تكون عنده المعرفة والحكمة بغض النظر عن السن ، فقد يوجد شيوخ مخطئون وأمثلتهم كثيرة في الكتاب ( ١ مل ٢ : ٦ ، ٩ ؛ أي ٣٢ : ٩ ؛ يوحنا : ٨ : ٩ ؛ مز ١١٩ : ١٠٠ ؛ جا ٤ : ١٣ ) . وقد يوجد شباب حكماء كيوسف ودانيال وأثناسيوس الرسولي ...

## أبوة المركز ، واحترام المعلمين والرؤساء

أبوة المركز والرعاية والمسئولية وضحتها الكتاب المقدس في مناسبات عديدة . فن جهة الرعاية ، قال أيوب الصديق : « أب أنا للفقراء » ( أى ٢٩ : ١٦ ) ولما تولى يوسف الصديق الاشراف على بيت فرعون ، قال إن الله : « قد جعلنى أباً لفرعون » ( تك ٤٥ : ٨ ) . كذلك فإن عبيد نعمان السريانى - عندما تضايق من الإغتسال فى الأردن ليبراً - قالوا له : « يا أبانا ، لو قال لك النبي أمراً عظيماً ، أما كنت تفعله » ( ٢ مل ٥ : ١٣ ) فدعوه « أبانا » من جهة المركز .

ولعله من هذا القبيل ، قال دواد لشاول الملك « أنظر يا أبى أنظر أيضاً طرف جبتك بيدي » ( ١ صم ٢٤ : ١١ ) ، تعبيراً تمتزج فيه أبوة المركز بأبوة السن ...

من هذه الناحية تنطبق الوصية الخامسة على الرؤساء ، وعلى المعلمين ، وكل من لهم رعاية وأشراف على الإنسان .

فالطالب الذى لا يكرم مدرسه أو لا يطيعه أو يشاغب فى فصله ، أو يكسر قوانين المدرسة ، إنما يكسر الوصية الخامسة . وبالمثل المواطن الذى لا يطيع نظم الدولة . من هنا نرى الإتساع الكبير الذى سملته وصية « إكرم أباك وأمك » . أما طول الأيام على الأرض ، فقد تؤخذ بالمعنى الحرفى أى طول الأعمار ، أو قد تؤخذ بشيء من التأمل عن الأبدية فى « أرض الأحياء » ( مز ٢٧ : ١٣ ) .

## محتويات الكتاب

صفحة

٥	تصدير .....
٧	الفصل الأول : الأبوة الطبيعية واحترام الأقارب الكبار .....
٧	أهمية هذه الوصية .....
١٣	الفصل الثاني : كيف نكرم الآباء والأمهات .....
١٣	النجاح .....
١٤	العرفان بالجميل .....
١٥	الإعالة .....
١٧	المحبة والإحترام .....
١٩	الطاعة والخضوع .....
٢٣	طاعة في الرب .....
٢٥	الفصل الثالث : حول الطاعة والخضوع .....
٢٨	الفصل الرابع : واجب الآباء نحو أبنائهم .....
٣٦	الفصل الخامس : حدود أكرام الوالدين .....
٤٠	الفصل السادس : أنواع أخرى من الأبوة .....
٤٠	أقارب في مستوى الوالدين .....
٤٠	الأبوة الروحية .....
٤٦	أبوة السن .....
٤٨	أبوة المركز .....